وقل رب زدني علما

1

القرآن والسنة

تفسيره ومفسروه

روايتها ورواتها

عند الإباضية

ابن الشيخ

أستاذ الشريعة والفلسفة

بمعهد الحياة

القرارة - الجزائر

تاريخ الإسلامي

القرآن

تفسيره ومفسروه

السنة

روايتها ورواتها

عند الإباضية

القرآن

تفسيره ومفسروه

السنة

روايتها ورواتها

عند الإباضية

ابن الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله

أخي المسلم : لعل مما يشرفك ويزيد في معلوماتك الدينية وثقافتك الاسلامية ، أن تفتح لك اليوم نافذة تشرف منها على مذهب جهله أو تجاهله بل نسيه أو تناساه كثير بل معظم علماء الاسلام فضلا عن عامتهم . وأعني بذلك المذهب الإباضي الناصع الحنيف هذا المذهب الإسلامي الصحيح الذي انتهت إمامته في هذا القرن القرن العشرين بالمغرب الإسلامي العربي وخارجه الى عالم من علماء الجزائر وشخصية من شخصياتها الفذة في تكامل جوانب عظمتها وذلك **فضيلة الإمام الراحل المرحوم الشيخ بيوض ابراهيم بن عمر** ، الذي نسي أو تنوسي في ملتقى الفكر الاسلامي للسنة المنعقد بتلمسان سنة 1982 رغم أنه قد خدم السنة النبوية والهدي المحمدي خدمة جليلة . نادرة المنال في هذا القرن إذ درّس الجامع الصحيح للإمام البخاري من أهم وأوسع شروحه « فتح الباري » للحافظ الإمام ابن حجر العسقلاني بدروس يومية تستمر الساعات الطوال مدة أربعة عشر سنة أو تزيد وختمه بحفل علمي رائع سنة 1945 . كما نسي أو تنوسي هذا الإمام أيضا في ملتقى الفكر

الإسلامي للقرآن المنعقد بالجزائر العاصمة سنة 1981 والحال أنه لا يقل خدمة للقرآن تدرسياً وتفسيراً عن الإمام ابن باديس ومحمد عبده ورشيد رضا واضرابهم من القدامى والمحدثين اذ أقام نهضة علمية اسلامية اساسها القرآن والسنة . فخرج الألآف من حفظة القرآن عن ظهر قلب ، وفسر القرآن تدريسا فيما لايقل عن خمسة وأربعين سنة ختمت بمهرجان علمي عظيم نادر المنال في التاريخ أقيم على مستوى الجزائر وأوسع بمشاركة صفوة علمائها ومثقفيها ، وسلطاتها الادارية والسياسية والعسكرية .

من نافذة هذا المذهب نتناول بالعرض معكم اليوم موضعين - أولهما - القرآن من حيث تفسيره ومفسروه - ثانيهما - السنة من حيث رواتها وروايتها عند الإباضية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد فإن اصدق الحديث واحسنه كلام الله . ولم تتلق البشرية ولن تتلقى كلاما يدانيه فضلا أن يساويه أو أن يعلوه في هديه وإرشاده للتي هي أقوم. ولا في بلاغته وبيانه وعذوبة نطقه وجرس صوته. فضلا عن حكمته وإحكامه، وشريعته وأحكامه. ولا أصدق في وصفه ولا أبلغ من قول من تلقاه وحفظه وبلغه وعلّمه حبيب الله ورسوله محمد ﷺ اذ قال : فيه : **(كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل ، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى الى الرشد فآمنّا به**

ولن نشرك بربنا أحداً من قال به صدق ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم : ـ اه) وبذلك كان ـ ويجب أن يبقى ـ القرآن قوام الأمة الاسلامية ومنبع تشريعها تستمد منه أصول دينها ، وقواعد أحكامها في مختلف ميادين حياتها في عقيدتها وعباداتها وعلومها وثقافتها وتفكيرها ، اقتصاديا واجتماعيا ، سياسيا وعسكريا ، للفرد والجماعة ، في المسجد والبيت ، في الشارع والسوق ، والحقل والمصنع ، في الميدان الحربي والرياضي ، من أعلى قمة رئاسة الدولة إلى القاعدة الشعبية للمواطن البسيط وبذلك تسعد في معاشها ومعادها .

كما أن القرآن كان ـ ويجب أن يكون ـ أقوى مقوّم من مقومات الأمة العربية ، فما كانت شيئا مذكوراً في التاريخ قبل نزول القرآن ، وما كانت لتكون شيئا لولا القرآن ، بل ما كان يمكن أن تبقى الأمة العربية بعد الأعاصير الهوجاء التي سلطت عليها من فوقها ومن اسفل منها وعن يمينها وشمالها ، من الشرق والغرب ، ومن الشمال والجنوب لولا القرآن الذي تكفل الله بحفظه إذ يقول « **انّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** » ويقول « **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** » وبحفظ القرآن حفظت اللغة العربية ، وببقاء

اللغة العربيـة بقيت الأمـة العربيـة . مـادامت اللغـة من أقوى مقومات الأمم والشعوب .

ذلك ماأدركـه المسلمون الأوائل والقرون الأولى من هـذه الأمة فأقبلت على هذا القرآن بكل ما لديها من وسائل العناية بـه من مختلف الـوجـوه ، تلقيّـا وتـدوينـا ، وحفظـا وتبليغـا ـ رواية ودراية ـ بالتفسير والتأويل ، لإبراز معانيه ومقـاصـده الظاهرة والباطنة ، والقريبة والبعيدة . وتنـاولوا لفظـه برسمـه وقراءته وإعرابه وصرفه ، وبيانه ، ومعانيه وابداعه .

وما علمت البشرية في تاريخها أمة ولن تـأتي أمـة تعنى بكلام ربهـا ، وانبيـائهـا ، ورسلهـا ، وعظمـائهـا ، وزعمـائهـا وفلاسفتها وحكـامهـا ، مثلمـا عينت الأمـة الاسلاميـه بكتـاب ربها ، وسنة رسولها المبينة لما في القرآن .

وإنّ كـل جـانب من تلـك الجـوانب المـذكـورة جـديـر بـالإشـادة بـالمجهـودات التي بـذلت فيـه . غير **أن جـانب التفسير أولاها بالعناية وأجدرها بالإعتبـار ، كيف لا وهـو أجـل العلـوم على الإطـلاق بـدون منـافس ولا منازع** وذلك أن العلوم في تفاضلهـا كسـائر المهن والحرف ، والصنائع والوظائف . فكما أن هذه المهن والوظـائف والحرف والصنائع تختلف بحسب موضوعهـا من جهـة ، وشـدة حـاجـة الناس إليهـا بـاعتبـار ضرورتهـا في حيـاتهم من جهـة أخرى ،

فالصائغ الذي يعالج الذهب والجواهر والأحجار الكريمة - بحسب موضوع مهنته - أشرف ممن يحترف مهنة معالجة العفونات والقذورات والقمامات وان كان الكل ضروريا في الحياة . وبائع قطعه خبز ، أو مضغة لحم ، ومنتج جرعة لبن وصانع كساء بحسب حاجة الناس لذلك أهمّ من بائع اللعب أو صانعها ، والمترجم أو الموقع عن رئيس الدولة أعلى مقاماً من وكيل يترجم عن مجرم في قعر السجون وليقس على هذا مالم يقل ، وكذلك الأمر بالنسبة للعلوم بدون ذكر أمثلة أو تفصيل .

إن العلوم مهما تفاوتت أو تعادلت فلن يبلغ شيء منها مبلغ التفسير ، والمفسر الذي يتصدى لكلام ربّ العزة رب العالمين الذي لا تخفى عنه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا يضل ربي ولا ينسى لا تاخذه سنة ولا نوم . ولا تعتريه بدوات ولا هفوات فكان كلامه على ما سبق أن سمعناه من وصفه على لسان رسوله وقال عنه منزله : **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .**

قلت إنّ من يتصدى لهذا الكلام بالتفسير : بالشرح والتوضيح والتأويل والتبيين جازما ومحققا ، أو ظاناً ان مراد الله من كلامه هو هذا المعنى او ذاك . ان هذا المقام عظيم وخطير كاد يكون جرأة على الله ، ما كان ينبغي لمخلوق أيًّا كان ملكاً مقرباً أو نبيئا مرسلا ، أو عالما راسخاً في العلم - أن يقدم على ذلك - لولا أن أذن الله في ذلك لمن يشاء من عباده الذين اصطفاهم وحباهم بمالم يهبه لغيرهم من مؤهلات وإن خطورة ذلك تكمن فيما قد يقع . وكثيرا ما يقع فيه المفسر من اخطاء في التفسير والتأويل وما ينتج عن ذلك من ضلال المرء في نفسه واضلاله لغيره فيكون من الذين حذّرنا الله منهم ومن اتباعهم ، إذ قال : **ياأيها الذين آمنوا لا تتبعوا أهواء قومٍ قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل** . لأن ذلك أبلغ الظلم حيث قال **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً** - وذلك ناتج عن قصور مواهبنا وإدراكنا - أو تقصيرنا في استعمال قدراتنا وتقديرها فإذا كنا نحن البشر نعجز احيانا وفي كثير من الأحيان عن فهم كلام بعضنا وعن استبانة مقاصد القائل والمتكلم منّا فنقوّله ما لم يقل ، أو نحمل كلامه ما لا يتحمّله ولا يحتمله ويرجع صاحب الكلام باللوم والنقد على من أخطأ فهم قصده ومراده مردداً قول القائل :

وكم عاتب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

رغم أن ذلك الخطأ لا ينشأ عنه ضلال ولا إضلال إذ لسنا ملزمين باتباعه ولا مكلفين بالعمل به ولا مسؤولين أو محاسبين عليه . اللهم إلا في نطاق التقنين أو التطبيب **فما بالنا بالخطا في كلام الله الذي ارتضاه الله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، لا يرضى بغيره بديلا ، ومن ابتغى الهدي في غيره أضله الله ، ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه - حتّى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين** - هذا جانب الخطورة في تعاطى تفسير القران .

أما جانب أهميته وعظمته فتتجلى في معنى التبليغ للرسالة والدعوة الاسلامية : التي أمرنا ضمن أمر الرسول بتبليغها إذ قال له ربّه : (**يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس**) . وما قوام الرسالة والدعوة الاسلامية الا القرآن وتتجلى تلك العظمة في عظمه العلم والتعلم والتعليم والعلماء الذين قضى الله أن يرفع درجاتهم على من سواهم من المؤمنين بعد رفع درجة الجميع إذ قال : (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) . كما رفع درجتهم الى درجة الخشية له وخصهم بها حيث

قال : (**انما يخشى الله من عباده العلماء**) . ورفع مقامهم الى مقام الملائكة واكثر فقال : (**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم**) . وتتجلى عظمة ذلك أيضا في معنى الميراث المقدس الذي شرف الله به العلماء على لسان نبيئه عليه السلام اذ قال : (**العلماء ورثة الأنبياء**) . وأعظم به تكريما وتشريعا .

موقف الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح لهذه الأمة من التفسير :

حذراً من تلك الخطورة البالغة في التصدي لتفسير وتأويل كلام الله عز وجل ، وخطر الخطإ والإنزلاق في ذلك ، وأملا في ذلك الشرف والتكريم والفضل الذي منحه الله لعباده العلماء ، فقد وقف الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح من هذه الأمة الخيرة موقف تردد بين الاحجام والإقدام ـ من التفسير ـ فكان منهم الواقف من ذلك موقف الهيبة والاشفاق مستحضرا في ذلك قوله تعالى (ـ **هو الذي أنزل عليك الكتاب ـ منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب ، وأخر متشابهات ـ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله** ـ) فيخص المولى عز وجلّ بمعرفة تأويله

ولا يسمح بعطف الراسخين في العلم فضلا عن نفسه أن يعطفوا على لفظ الجلالة فيشاركوه في معرفة تأويل متشابه كلامه . كما يستحضر قوله تعالى : (**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً**) . وقوله (**ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله**) . فاذا به أمام علم لا نهائي قد وسع علم ما كان وما هو كائن وما سيكون في الأرض والسماء وما بينهما وما تحت الثرى في الحياة الدنيا والأخرى ، فيقارن ذلك بجهله الأصيل (**والله أخرجكم من بطون أمهاتهم لا تعلمون شيئا**) ، أو بعمله الظاهري القليل ، (**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**) . فإن من يوازن - وان كانت لا موازنة مطلقاً - بين عظمة المولى عز وجلّ وجلاله وعزته وسعه علمه وبين عبودية المخلوق وعجزه وقصر مداركه وتقصيره مع ذلك . ان هذا الذي تجلت له هذه الجوانب لابد أن يحجم عن التفسير والتأويل مفوضا ذلك الى الله وحده مردداً قوله : (**وما يعلم تأويله إلا الله**) . واكتفى أن يقول قول الراسخين في العلم ويردد : (**آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب**) . مستشهدا ومستأنسا بقول الصديق رضي

الله عنـــه : (**أي ارض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في كتـــاب الله برأي**) . ومكتفيـــا كمـــا اكتفى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بما تيسّر له فهمه والادّكـار بـه من المعنى الإجمـالي حسب يسر لفظـه المنصـوص عليـه بقـولـه تعالى: (**ولقـد يسرنـا القرآن للـذكر فهل من مـدّكر**) . ومبتعـدا عن التكلف والتقـول فيمـا عسى أن يغمض عليـه من بعض كلمات كمـا غمض على عمر رضي الله عنـه أول الأمر معنى ـ الأبّ ـ من قـولـه تعـالى (**فلينظر الانســان الى طعامه إنـا صببنـا المـاء صبًّـا ثم شققنـا الأرض شقًّـا فـأنبتنـا فيهـا حبّـا وعنبـاً وقضبـاً وزيتـونـاً ونخـلا وحدائق غلباً وفـاكهـة وأبًّـا**) قـال عمر : مـا الأبّ ؟ ثم قـال استغفر الله نهينـا عن التكلف وقرأ قولـه تعـالى : (**ومـا أنا من المتكلفين**) .

ذلـك مـوقف من مـواقف بعض الصحـابـة رضي الله عنهم اجمعين وقـد تخرجوا من مـدرسـة الرسول ﷺ كتلاميـذ على يده وهديه ، وسايروا مراحل التنزيل وعرفوا أسبابه ، وعـاشوا بيئته الزمانية والمكانية مع سليقتهم العربيـة الفطريـة ، وعمق إيمانهم وعقيدتهم وصفاء مداركهم وضمائرهم . فأجمل بمن جاء بعـدهم وأولى بـه ـ ولم يتـوفر لـه مـا تـوفر لهم ـ أن يسلـك

مسلكهم هذا . وفعلا ذلك ما ذهب إليه البعض ، ففوضوا أمر تفسير وبيان القرآن لله أولا - ولرسوله ثانيا - وإليهما وحدهما فقط لأن الله قد تكفل بذلك بنفسه تفضلا منه ، ونعمة على عباده وامتنانا على نبيئه اذ قال له : **(لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه)** ثم تفضل الله على نبيه عليه السلام فعلمه ما لم يكن يعلم ، وخوله مهمة البيان للناس ان بين لهم ما نزّل إليهم فقال له **(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)** ، وشارك نبيئه الكريم مع ذاته العلية عز وجلّ - في وجوب الطاعة والرجوع إليهما فيما انبهم واشكل علينا فقال : **(يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم وإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)** - وبذلك فوضوا الأمر في كل ما أشكل عليهم إلى الله ينتظرون الوحي بالبيان أو الى الرسول عليه السلام يترقبون هديه وتفسيره ثم حفظوا كل ما ورد لهم على سبيل البيان والتفسير والشرح والتوضيح للقرآن فقالوا : **(ما فسر القرآن مثل القرآن . وخير ما فسرته به الوارد)** .

وأخذوا يتناقلون هذه النصوص القرءانية والاحاديث النبوية المفسرة لبعض غوامض التنزيل جيلا بعد جيل وخلفا عن

سلف ـ مع الالتزام الكامل لأمانة النقل والتبليغ ـ بمقتضى شروط ذلك . ملتمسين الأجر والثواب بنضارة الوجوه التي وعدها النبيء عليه السلام ودعا بها لكل من سمع منه مقالة فوعاها وبلغها كما سمعها .

وهكذا نشأت أول مدرسة من مدارس التفسير المصطلح عليها ـ بمدرسة التفسير بالمأثور ـ أو بالرواية ، او بالنقل ، وأهم خصائصها ومحاسنها ومزاياها التنصل من المسؤولية وتبعة التقول على الشارع ما لم يقل ما دام ينقل ما يسمع ولا ينقل الا ما سمع ، وما أحكمها وأسلمها طريقة لو استوعب النبيء ﷺ كل القرآن بالبيان والتفسير بحديثه ، ولولا ما طرأ على المسلمين من فتن كقطع الليل المظلم كما أخبر بها عليه السلام قبل وقوعها بأسباب اختياريه إراديه من عندهم ، او اضطرارية اجبارية ارغموا عليها فتفرقوا شيعا واحزاباً : **(كل حزب بما لديهم فرحون)** فغدوا طرائق قدداً ، لا يلوي بعضهم على بعض ، ولا يرقب بعضهم في بعض إلاّ ولا ذمّة ، فضلوا الطريق والهدى الذي ارشدهم إليه النبيء ﷺ ـ وقد سألوه عن المخرج من الفتن ـ بوجوب الرجوع الى كتاب ربّهم وسنة نبيهم فلا يضلوا بل رجعوا إليهما لا ليسترشدوا بهما ويهتدوا بهديهما ، وإنما رجعوا إليها بقلوب غير القلوب وضمائر غير الضمائر ونفوس غير النفوس ، ونوايا ومقاصد مغايرة لما كانوا عليه أو كان عليه سلفهم من قبل .

رجع الكل - إلا من رحم ربك - إلى القرآن والسنة محاولا تدعيم مسلكه ومذهبه . واحقاق باطله ، وابطال حقّ خصمه بهما - بالتقول عليهما ما لم يقولا - واندس في المسلمين من اندس - ممن قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم من كثير من الأمم والشعوب - كيدا للإسلام والمسلمين ، فخبّوا ووضعوا واختلط الحابل بالنابل ، فأوضعوا وأرجفوا فكثر الوضع . وترجمت الكتب السماوية بقسميها - العهد القديم التوراة - والعهد الجديد الانجيل - وغيرهما - كما ترجمت الفلسفات القديمة بما فيها من ديانات وهمية ، وثنائية ووثنية وزرادتشية وكنفوشوسية ومجوسية وبوذية فاندس الكثير من هذه النصوص المترجمة الى ما في صدور الرجال من نصوص نبوية فاشتبه الأمر بالناس فأصبحوا يمزجون التفسير القرآني للقرآن والتفسير النبوي للقرآن بكثير من الاسرائيليات والأحاديث الموضوعة لهذا الغرض او لذاك وغير ذلك مما يُرى من حشو في بعض التفاسير مما ينزه عنه أن يشرح به كلام ابسط مخلوق ، له نصيب من العلم يحترم علمه فضلا عن كلام نبيء أو رسول بله كلام رب العالمين .

ومن أجل ذلك وقف المسلمون ازاء هذه التفاسير المشوبة بالنقل عن الاسرائيليات وغيرها موقف الريبة والحذر حتى

قيض الله رجال النقد فتصدوا لتنقيح هذا التراث الضخم من الزيف عن طريق التعديل والتجريح ووضعوا لذلك موازين القسط ومقاييس عادلة طريسة ، فنقحوها من زيفها ، وانتحال المبطلين فيها ، فغدت محجة بيضاء ناصعة ليلها كنهارها ، وطريقة آمنة لا يضل سالكها ولا يخشى . وكان من أبرز هذه التفاسير المنقحة رواتها ونقولها تفسير الإمام ابن جرير الطبري ، والإمام ابن كثير . فغدوا أئمة هذه المدرسة وأساتذة لمن جاء بعدهم يقتدي بهم ويهتدي بهديهم ، يغرف من منابعهم ويستن سنتهم كما استنوا هم بسلفهم من امثال ابن عمر ، وابن عمرو ، وأبي الشعثاء وعكرمه ، ونافع ، والحسن ، والثورى ، وابن عيينه والأوزاعي .

أما الفريق الثاني من الصحابة خاصة والمسلمين عامة ، فقد نظروا إلى القرآن من جهة العموم والشمول ، والدوام والتأبيد وأنه ميسر للجميع (**ليدبروا آياته ويتذكر أولوا الألباب**) **مصداق قوله عز وجل (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر)**وقوله(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) ، وارشد عباده إلى الرجوع فيما اشكل عليهم إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم ، فقال حكاية عمن سبق من الأمم وإرشاداً لهذه الأمة

قال : (**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ولـو ردوه الى الرسـول وإلى أولى الأمر منهم لعملـه الـذين يستنبطونـه منهم**) . ثم قـال عن خصوص القرآن (**بل هو آيات بينات في صدور الـذين أوتوا العلم**) :

بنـاء على هـذه الأسس والاعتبـارات خـولـوا لأنفسهم محاولـة فهم القرآن والترجمـة عمـا غمض وأجمل منـه واشتبـه عن بعض المـدارك . بـالشرح والتفسير والتـأويـل ، فتصـدى البعض ممن من الله عليهم بـالرسـوخ في العلم والمـدارك الصحيحـة ، أن يفسروا كثيراً من الآيـات حسب مـداركهم ومـواهبهم الفطريـة وقـدراتهم العقليـة وفتـوحـات الله عليهم بتجليـة معـانيـه ووضـوح أسراره مسترشـدين ومستـأنسين بمـا حفظـوا من جهـة ، وبمـا فهمـوه من جهـة أخرى مستنطقين ألفاظه وتراكيبه أولا ، ومستعينين ثانيـا ـ بـالقرائن الزمـانيـة والملابسات المكانيـة وأسبـاب النزول ، وغير متقيـدين بهـا ـ لأن العبرة كمـا يقـال بعموم اللفـظ لا بخصـوص السبب ، مستعملين في كل ذلـك الفهم قـواعـد نحـويـة واصطـلاحـات ومقاييس بلاغية وأصولية عامة وخاصـة ، في العقـائـد والفقـه والبلاغة ، وغيرها من العلوم الآليـة ، فنبغ في ذلـك فطـاحل الأئمـة من الصحـابـة وعلى رأسهم في ذلـك الخلفـاء الأربـع الراشدون وفي طليعتهم الصديق أبو بكر رضي الله عنه ، وقـد قال فيما قال عن بعض مداركه الخاصة قـال أقول في الكلالـة برأيي فـإن يكن حقـاً فمن الله ، وإن يكن خطـأ فمنى ومن

الشيطان ـ الكلالة ما عدا الولد ـ وقال عمر الفاروق وقد سئل أو سأل رضي الله عنه عن التخوف من قوله تعالى أو **(يأخذهم على تخوف)** فالتمس الجواب فوجده أو وجد له في بيت من الشعر فقال عليكم بديوان شعركم ففيه تفسير كتاب ربكم . ومثل ذلك استنباطات الإمام عليّ كرم الله وجهه وغوصاته في القرآن . ولعل أشهر من برز في ذلك حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه الذي استجيبت فيه دعوة النبيء ﷺ وتفرسه لما حنكه بريقه المباركة عند ميلاده ولم يجد غير ذلك ، فزوده مع ريقه بحكمته اذ قال عليه السلام **(اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وألهمه رشده)** وتعليم التأويل المطلوب له هنا يتبادر أول ما يتبادر الى الذهن منه ، تأويل القرآن وتفسيره أخذا من قوله تعالى : **(هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)** على أن الراسخين في العلم معطوفون على لفظ الجلالة ـ الله ـ في معرفة تأويل المتشابه ، ولذلك روي عن ابن عباس أنه كان يقول عن نفسه **(أنا من الراسخين في العلم أنا ممن يعلم تأويله)** وبذلك استحق اللقب الآنف الذكر « ترجمان

القرآن » وهكذا سمح هؤلاء الأئمة الاعلام لأنفسهم ولأضرابهم من أمثال عبد الله بن مسعود ومن تخرج على أيديهم أن يتصدوا للتفسير بما يعبر عنه بالدراية والعقل والرآي المرتكز على أسس وقواعد وفق شروط ومؤهلات تجعلهم أبعد ما يكونون عن التقول بالهوى والتشهي أو تحكيم الأغراض والنزعات الشخصية أو المذهبية في كلام الله واخضاعه للرغائب أو الافتراء عليه بما لا يتحمله ولا يحتمله ، فرويت عنهم في ذلك آراء ومدارك وملاحظ ومفاهيم سامية صائبة حكيمة حفظت عنهم ونقلت وتلقتها الأمة بالقبول حتى غدا الكثير منها محلّ اتفاق وإجماع . وقد تصدى البعض لجمعها في مصنفات اندثر منها ما اندثر وبلغنا منها ما بلغ ومن ذلك ما نسب لابن عباس وسمّي تنوير القياس من تفسير ابن عباس لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادي الشافعي ـ صاحب القاموس ـ وقد طبع بالمطبعة الأزهرية بمصر سنة 1344 هجرية 1926 ملادية وان كان الراجح ان هذا التفسير لم تصح نسبته كله لابن عباس اذ لم يصح أنه تعاطى التفسير للقرآن تدريسا ولا تأليفاً آية آية من أوله إلى آخره .

ويبدو أن هذه الطريقة العقلية الدرائية من التفسير اعتراها بعض فتور بعد الصدر الأول وقد افترق الصحابة والمسلمون العرب الاقحاح عبر الأمصار واشتغلوا بالشؤون السياسية والادارية والعسكرية للدولة الاسلامية ، ودخل في

الاسلام أمم وشعوب أعجمية فتشوقت بكل شغف للتفقه في الدين وقد كفوا مؤونة شؤون الدولة . فنفروا لما استنفر الله إليه طائفة من كل فرقة أن يتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . فنبغ منهم كثير من علماء وفقهاء ، وموالي امثال عكرمة مولى ابن عباس ، ونافع مولى ابن عمر واضرابهما كثيرون ولكن يبدو أن بعدهم عن السليقة العربية الفطرية جعلتهم يحجمون عن متابعة سلفهم في الاستنباط بالراي والدراية والعقل خاصة وهم بعداء كذلك عن عصر التنزيل واسبابه وملابساته الزمانية والمكانية . ولمّا يدون بعد شيء من ذلك كسيرة للنبيء ﷺ وصحابته ولا شيء من اللغة وعلومها الآلية ولا من الشريعة واصولها الأساسية وفروعها العملية .

ولما قامت او تمت او كادت أن تتم حركة التدوين وتبلغ أشدها ، فدونت اللغة وعلومها . بما في ذلك النحو ، والصرف والبلاغة بأقسامها ووضعت أصول التفقه ودونت على يد الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، ومن نهج نهجه ، وترجمت العلوم والثقافات والفلسفات القديمة التي كان لها تأثير كبير في تفتيق المواهب والأذهان، واتساع مدارك الفهم والقرائح، وهنا تصدى بعض النبغاء في تلك العلوم وعلى ضوئها وقواعدها لفهم القرآن وتفسيره بالرأي والدراية العقلية ، غير تاركين الاثار الصحيحة بل مستنيرين بها غير

مكتفين بها ولا مقتصرين عليها . اذ ربّ مبلغ أوعى من سامع - ورب حامل فقه (فهم) إلى من هو أفقه منه . كما قال عليه السلام - حتى قال بعضهم عمن سبقه بمن دون الصحابة مقاماً - هم رجال ونحن رجال .

ولقد كانت هذه الحركة العلمية عامة وخاصة حركة التفسير معاصرة ومواكبة لحركة ظهور المذاهب الكلامية والفقهية وتأصيلها واستقرارها واستبحارها ، فجاءت متأثرة بها أو مؤثرة فيها ولعلها متقيدة بها ومتحمسة لها ، ولعل أوضح مثال لذلك إمام المفسرين العقليين الدرائيين الإمام محمود ابن عمر الزمخشري 528 هـ في كتابه المشهور الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل والذي قيل عنه مازال القرآن بكراً حتّى فضه الزمخشري .

قلت بقدر ما يعتبر الإمام جار الله الزمخشري أستاذ المفسرين العقليين الدرائيين ويعتبر من جاء بعده عالة عليه ومتتلمذا عنه ، في إبراز أسرار القرآن وغوامض اعجازه البياني والبلاغي - إلا أنه صبغ تفسيره هذا بصبغة مذهبه العقائدي الكلامي الإعتزالي في تأويله الآيات المتشابهات خاصه منها قضية القضاء والقدر - والجبر والاختيار - والقدرة على خلق الأفعال - فغدا هذا التفسير مغريا ببيانه في ابراز اسرار القرآن وإعجازه ببلاغته ومخطرا على غير المعتزلة من الاباضية

والاشاعرة والشيعة من الوجهة الاعتقادية في الأصول الدينية ، ولذلك تصدى من تصدى لدرء هذا الخطر العقائدي بالرد عليه ومحاولة ابطال اعتزاله واستبقاء بلاغته ، وفي طليعة هؤلاء الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره المعروف بالتفسير الكبير جمع فيه بين الجانب البياني والاعجاز البلاغي للفظ القرآن مقتبسا إياه أو معظمه عن الامام الزمخشري ، وبين الجانب الكلامي العقائدي مخرجا الآيات المتشابهات الكلامية تخريجاً أشعرياً على مذهب الامام أبي الحسن الأشعري فتوسع في ذلك توسعاً ممتعاً لذوي العزيمة والهمة والارادة والصبر . ولكنه مملّ ومرهق للمبتدئين حتى قيل عنه ـ فيه كل شيء إلا التفسير ـ وإن كنت لا أرى هذه المقالة ـ فصعب على المبتدئين والعموم أن يستفيدوا منه . حتى جاء من بعده ضياء الدين عبد الله بن عمر بن محمد القاضي البيضاوي 791 هـ فحاول في كتابه أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ الجمع بين محاسن تفسيري الإمامين العظمين الآنفي الذكر ـ الزمخشري في بيان القرآن واعجازه البلاغي ، والرازي في عقائده الأشعرية فاستطاع أن يختصر نيفاً وثلاثين جزءاً في مجلدين اختصاراً ملغزاً فجاء كتاب البيضاوي نسيج وحده وفريد صنعه في الاختصار والايجاز إلى حد الالغاز لا يكاد يستطيع قارئه أن يفهم أو يستفيد منه شيئا اذا لم يكن له شيخ يريه شخوصه أو يرجع الى

مصدريه ومنبعيه الآنفي الذكر ، أو كان له بهما إلمام من قبل ، ومن أجل ذلك تصدى من تصدى له بالشرح والتعليق والحواشي والتعليق على الحواشي بعضها على بعض حتى قيل إنه كتب عليه ما يزيد على مائة مؤلف بين شرح وحاشية وتعليق .

لقد قيل عن تفسير البيضاوي انه كتاب مدرسي يصلح للتدريس فإن أريد انه لا يستفاد منه إلا في فصل أو حلقة الدرس بواسطة الشيخ أو الأستاذ المدرس فهذا صحيح . أما إن أريد أنه كتاب مدرسي في متناول أبناء المدارس فذلك باطل لأن الكتاب الذي لم يستطع فهمه الطلبة ذوو الهمم في عصور ازدهار العلوم الاسلامية الدينية والعربية . فمن باب أولى أن لا يستطيع فهمه في عصور فتور الهمم وسطحية العلوم العربية والعزوف عن أغلب ما يمت بصلة إلى العلوم الدينية إلا من رحم ربك .

وقد جاء من حاول أن يبسّط تفسير البيضاوي فيوسعه بعض التوسعة سالكاً طريق الوسط والاعتدال بين ايجازه واطناب وتوسع الرازي . وذلك الإمام أبو السعود محمد بن محمد العمادي 951 هـ . ومع ذلك لم يغن تفسيره عن الرجوع الى أصوله بما في ذلك الزمخشري والرازي والبيضاوي .

ولعل كل ما جاء بعد هؤلاء الأعلام ممن انتهج نهجهم في هذه الطريقة - بل المدرسة - مدرسة الدراية والعقل والرأي - في التفسير - يعتبر مستنا بسنتهم - مبسطا وشارحاً أحيانا ، وموجزاً ومختصرا أحيانا أخرى - بقطع النظر عن بعض زيادات وإضافات يكمل بها اللاحقون المتأخرون ما جاء به السابقون الأولون .

أما المدرسة الثالثة - ولعلى استسمح لنفسي بتسميتها بمدرسة ثالثة فهي المدرسة الحديثة الاخيرة ومن الممكن أن نسميها بالمدرسة الازدواجية - إذ زاوجت بين المدرستين بالجمع بينهما فسلكت طريقا وسطا بينهما ، فأخذت من كل طريقة احسن ما عندها وتخلصت من مآخذ كل مدرسة ومزالقها فأخذت من المدرسة الأولى الرواية والنقل والاثر - اصح ما ثبت عندها من تفاسير صحت نسبتها إلى القرآن بأن فسر بعضه بعضاً - او إلى الرسول عليه السلام بأن بيّن بسنته القولية أو الفعلية او التقريرية بعض مجملات القرآن - أو ما ثبت نسبته نسبة صحيحة إلى الصحابة الأعلام رضوان الله عليهم وقد واكبوا التنزيل في كل أطواره عارفين بمناسباته وأسبابه ، ففهموه بما يمتاز به معظمهم من سليقة عربية فطرية مطبوع عليها تعينه على فهم الكلام العربي مهما بلغت فصاحته وبلاغته وبذلك كانوا - ولا شكّ - أدرى وأقدر على فهم التنزيل ومراد منزله منه . ونبذ أئمة

واصحاب هذه المدرسة ونفوا عنها كل ما اشتبه فيه من آثار وأخبار وقصص تشتم منها رائحة الوضع والتقول والاقتباس من غير المنابع الأصلية للتوضيح والبيان والتشريع - كما أخذوا عن المدرسة الثانية - مدرسة العقل والدراية والرأي والفهم الصحيح السليم - ما يتناسب واعجاز القرآن ببيانه وفصاحته وبلاغته معرضين عن النزغات والنزاعات المذهبية الكلامية مما يتنافى وما علم من الدين بالضرورة في العقائد وأصول الدين ، أو مما لا يثمر ثمرة عملية في سلوك الانسان وعمله لدنياه وأخراه - ثم أضافوا إليها ما أفادته العلوم الحديثة والكشوف الكونية في الآفاق من معارف وحقائق أشار إليها القرآن إشارات خفيفة لطيفة لم تستطع عقول المعاصرين للتنزيل ادراكها مصداق قوله تعالى (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** -) فجاء العلم مواكباً للقرآن - لم ينقضه في شيء من أحكامه وحقائقه بل أظهر جانباً من جوانب اعجازه العلمي والغيبي - قلت أضاف أئمة هذه المدرسة الحديثة مداركهم ومدارك معاصريهم الحديثة الى مدارك من سبقهم فجاءت تفاسير هذه المدرسة جامعة لمحاسن ما سبقها وأحسن منها ومازالت في طريق اكتمال حسنها بتقدم العلوم وتوالى السنين والقرون .

ولعلنا إذا أردنا ضرب مثل لهذا النوع من التفسير نجد مثلا رائعة من التفاسير الحديثة التي واكبت سير الحياة المعاصرة بحضارتها وما تحتويها من محاسن يشيد بها القرآن ومن مساوي زجر عنها الشارع الحكيم فتبين فعلا شؤمها على الانسانية والبشرية ، في مختلف ميادين الحياة ، ونذكر على سبيل المثال لذلك تفسير الامام محمد عبده ورشيد رضا في منارهما ، وتفسير الإمام قطب الائمة الحاج محمد بن يوسف الطفيش الجزائري في هميانه وتيسيره وتفسير الامام محمد الطاهر بن عاشور في تحريره وتنويره وتفسير السيد قطب في ظلاله ولا ننسى الامام عبد الحميد بن باديس - وأخيراً التفسير المزمع اخراجه للوجود للامام المرحوم الشيخ بيوض ابراهيم في رحاب القرآن المودع في اشرطة التسجيل لمن اراد اقتناءه .

أيها القارئ الكريم : كأنى بسؤال يطرح نفسه أو تطرحه علي وقد طرح فعلا قصد التعرف على التفسير لدى الاباضية ما هي طريقة تفسيرهم ومن هم أشهر المفسرين منهم وما هي أشهر تفاسيرهم .

أيها الأخ المسلم : إنه - رغم أهمية السؤال ووجاهته - ومع ذلك فقد لا نستطيع أن نجد له جوابا كافيا شافيا مقنعا وذلك للعوامل التالية .

أولا : لا أعلم أن التفسير قـــد صنف من حيث طرقـــه بحسب المذاهب الاسلاميـة الفقهيـة او الكلاميـة فلا يقـال مـا هي طريقة التفسير الاباضي كما لا يسأل عن طريقـة التفسير المـالكي أو الحنفي ، او الشـافعي والحنبلي ، وإنمـا التفسير صنف من حيث مستنـده ومستمـده الى الطريقتين أو الثلاثـة الآنفة الذكر ـ طريقة الدراية وطريقة الرواية ـ او قل طريقة العقل والنقـل ـ وان شئنـا قلنـا طريقـة الرأي والأثر والثـالثـة طريقة الازدواجية ، وهذه الطرق قد تجدها مجتمعـة ومعمولا بها ـ معا ـ لدى مذهب من المذاهب الاسلامية .

وقد يصنف التفسير حسب طريقة تأليفه والكتابة فيه الى طريقتين ـ طريقـــــة المـــزج بين النص القرآني وتفسيره كلمـة بكلمـة . مثـل طريقـة الجـلالين والكشـاف والتيسير والبيضـاوي وإلى طريقـة التعليق بـان يورد النص القرآني ـ آية أو مجموع آيات كموضوع بحث ـ ثم يعقب عليها بـالشرح مثـل طريقـة الفخر الرازي والقرطبي ـ وسيـد قطب والامـام الشيخ بيوض .

ثانياً : ان أريـد من السؤال عن التفسير الإبـاضي ـ تفسير معيّن ينسب لامام الاباضية فذلك مالا نجـده لامـام المـذهب الاباضي كما لا نجد لأي إمـام من أئمـة المـذاهب المعروفـة ـ فيما أدري تفسيراً منسوباً إليه ، فلا نجد تفسيراً منسوبا للامام

مالك بن انس أو الامام أبى حنيفة أو الامام الشافعي أو الامام احمد بن حنبل أو غيرهم من بقية أئمة المذاهب .

أما إذا كان المراد بالتفسير الاباضي أي تفسير ألفه أي عالم إباضي - كتابة او تدريساً - او آية او بعض آيات فسرها امام المذهب فذلك ما لا نعدم منه شذرات او عينات لامام المذهب . ونجد منه مجلدات ومجلدات لغير الامام من علماء المذهب الاعلام .

أما عن الامام الديني للمذهب : أبي الشعثاء جابر ابن زيد الأزدي وليد سنة 21 أو 22هـ . والمتوفى سنة 93هـ . على اصح الروايات - احد كبار تلاميذ ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم - فقد ذكرت المصادر التاريخية القديمة والكثيرة من السير والطبقات وكتب التاريخ مثل السير للشماخي والطبقات للدرجيني والازهار الرياضية وغيرها **أنه كان له ديوان كبير ضخم نسب إليه وعرف بديوان جابر يقع في عشر مجلدات** كما تقول الروايات امتازت واستأثرت به المكتبة العباسية ببغداد في عهد الرشيد كما ورد في قصة نفاث واستنساخه خفية عن الامير العباسي بعد اعارته إياه - ليجادل به الامام عبد الواهب ابن عبد الرحمن بن رستم في بعض مسائل خلافية - ولكن ما كاد يدخل أرض مصر الى افريقيا حتى بلغته وفاة الامام ،

فأبطل سعيه وأعدم نسخته هذه بدفنها في صحراء مصر في قصة طويلة قصها بعض المؤرخين الموثوق بهم ، مثل صاحب الازهار الرياضية في تاريخ الإباضية فبقيت النسخة الوحيدة نسخة خزانة الدولة العباسية ولم تخرج منها ولم يظهر لها أثر فيما بعد .

ويبدو والله أعلم - أن يكون الامام جابر سلك في ديوانه نفس الطريقة المتبعة في التأليف في ذلك العصر أو الصدر الأول من التآليف الاسلامية - شأنه في ذلك شأن الامام مالك في موطئة حيث جمع فيه بين الآية القرآنية وتفسيرها والحديث النبوي ومسألة فقهية مروية عن مشائخه ، أو رأي اجتهادي تفرد به فكان كتابه كما قال عنه فضيلة الشيخ الامام الراحل الفاضل بن عاشور مزيجا من التفسير والحديث والفقه حتى اختلف في تصنيفه وادراجه بين كتب التفسير او كتب الحديث او ضمن كتب الفقه .

قلت **يبدو أن ديوان الامام جابر بن زيد يكون على نفس الطريقة ما دامت العلوم الشرعية آنذاك لم تتميز ولم تتحدد فينفصل بعضها عن بعض - وما دامت طرائق التأليف تتشابه - غالباً بين مؤلفي كل عصر** ، أما كون جابر تعرض في ديوانه او في غير ديوانه للتفسير **فذلك ما نستفيده من العينات النادرة التي**

نجدها منقولة أو مروية عنه في بعض كتب التفسير - كالقرطبي او كتب الحديث مثل فتح الباري لابن حجر - ونيل الأوطار للشوكاني أو كتب الفقه الاباضي ، وكأني بالمؤلفين - في كل عصر - يتأسى بعضهم ببعض في منهجية التأليف ، وقلما يشذ أحد عن عصره .

أما مصير ذلك الديوان فلا يعلم حقيقة ذلك أحد - غير الله - فيما نعلم . اللهم إلا أن يكون مصيره مصير أغلب التراث الاسلامي الذي زخرت به خزائن الدول والأفراد قبل غزو المغول والتتر للبلاد الاسلامية ثم ذهبت ضحية الاحراق بالنار او الاغراق في دجلة والفرات كجسور لعبور جيش المغول والتتر عليها - كما ذكرت أغلب كتب التاريخ - في طريقها للقضاء على الدولة العباسية وما عاصرها من دويلات اسلامية بالمشرق هذا **إذا ابقت عليه الدولة العباسية كمفخرة لها وامتياز لها في خزانتها ، رغم العداء المستحكم بينها وبين الدولة الرستمية في عصور ازدهارها .**

هذا ما يمكن أن يقال عما عسى ان يكون للامام الديني للمذهب الاباضي - جابر بن زيد - كنواة او عينات من التفسير ممزوجة او مبعثرة في ديوانه .

اما من جاء بعد ذلك فقد ذكر بعض المؤرخين **ان الامام عبد الرحمن بن رستم كان قد ألف تفسيرا له لكامل أو بعض القرآن ، وقيل انّ هود بن محكم الهواري قاضي الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن على الأوراس . كان له تفسير للقرآن** . وان كان هذا يحتاج إلى تثبت وتحقق . **ـ وثبت ثبوتا يكاد يكون قطعيا ـ أن محمد بن يانس** احد الاربعة الرجال الذين امدت بهم نفوسة ـ بليبيا ـ الامام عبد الوهاب ابن عبد الرحمن . بدل الاربعمائة رجلٍ الذين طلبهم مددا له في حرب الواصلية المعتزلة . فكان منهم أبو الحسن الابدلاني في الحلال والحرام مهدي النفوسي في علم الكلام والجدل والمناظرة ، وايوب بن العباس في الفروسية والبطولة ، **ومحمد بن يانس ـ وهو بيت القصيد ـ في علم التفسير والتأويل للقرآن** . ولكن يطرح السؤال ـ هل ترك تفسيراً وأين هو ، وعلى أية طريقة ومن أي مدرسة . هل كان على طريقة الدراية ، أو على طريقة الرواية ؟ ؟ ؟ . لا علم لنا بشيء من ذلك ـ اللهم إلا عن طريق الحدس والتخمين ـ وكثيراً ما يكون الحدس والتخمين حقيقة . **فحيث ان محمد بن يانس دعي لمناظرة ومناقشة الواصلية المعتزلة ، وحيث ان المعتزلة بصفة عامة أهل بحث ونظر ودراية** ـ شأن امامهم

الزمخشري ـ وان كان لما يوجد بعد آنذاك ، او شأن امامهم الأسبق واصل بن عطا ـ **بناء على ذلك فيبدو ان يكون الامام محمد بن يانس على نفس الطريقة ـ وأزيد منها ـ ليكون كفؤاً لما ولمن تصدى له ـ حتى حقق الفوز عليه ـ**

أما ما عسى أن يكون له من تفسير فنقول فيه ما قيل عن ديوان جابر ـ **انه من المحتمل جداً ان يكون قد ذهب ـ هو الآخر ضحية وطعمة النيران مع التراث الفكري الضخم الذي كانت تزخر به مكتبة المعصومة بتيهرت في عصر ازدهار الدولة الرستمية مضاهية بها مكتبة الدولة العباسية .** ولما هاجمها العبيديون أضرموها ناراً أتت على كل ما فيها وتلك شنشنة كل غالب ان ينتقم من مغلوبه بإبادة تراثه الفكري زيادة عما كان هناك من عداء عقائدي مستحكم بين الشيعة وغيرهم .

وبعد هذا وفي حدود أول القرن الخامس وفي عهد الدولة الحمادية والمرابطية نبغ عالم من علماء المغرب العربي والعالم الاسلامي وهو الامام **ابو يعقوب يوسف ابن ابراهيم الوارجلاني** وقد ترجم له من ترجم له منهم الدكتور يوسف شاخت في المجلة الافريقية عدد 100 تحت عنوان المخطوطات الإباضية وخزائنهم ومنهم الاستاذ

عبد الرحمن الجلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام على أنه من نبغاء عصره ، **وقد ذكر أن لهذا الإمام تفسيراً كاملا ضخماً للقرآن ، قلما يرى مثله ومع ذلك لم نجد له اثراً بين أيدينا وإن قيل انه توجد منه بعض اجزاء أو كراريس في بعض خزائن أوروبا كالمانيا ان صح وعليه فلا نستطيع أن نحكم له أو عليه ولا أن نتبين طريقة هذا الامام في التفسير اللهم الا من غضون بعض العينات المتناثرة في كتابه العظيم القدر والشان ، والذي عبر عنه بعض من كتب عنه بأنه دائرة معارف اسلامية مختصرة وأعني بذلك كتابه المعروف بالدليل لأهل العقول - او الدليل والبرهان - وعنوانه هذا يشير الى أنه اعتمد العقل والدراية** فيما يكتب أكثر مما يعتمد النقل والرواية - وحيث أنه تعرض في هذا الكتاب لكثير من الآيات القرآنية بالنظر والتفسير والتأويل بالعقل ، فقد نستأنس من ذلك أنه اعتمد طريقة العقليين والدرائيين في التفسير .

أما التفاسير والمفسرون الذين استسمح لنفسي أن أضعها بين أيديكم حضرات السادة القراء الكرام **كعنوان ونموذج للتفسير عند الإباضية فذلك :**

الأول تفاسير الامام قطب الائمة الشيخ الحاج امحمد بن يوسف طفيش رحمه الله في تفسيره

هميـان الـزاد الى دار المعـاد ، وتفسيره داعي العمـل ليوم الامل وتفسيره التيسير .

والثـاني تفسير الامـام المرحـوم الشيـخ بيـوض ابراهيم في تفسيره الـذي اختير لـه عنوان - **في رحـاب القرآن** - على غرار في ظـلال القرآن وقـد أقيم لـه مهرجـان ديني عظيم على مستوى الجزائر عامة وحضر إليـه من خـارج الجزائر كذلك - مهرجان ختمه الـذي أقيم ببلـدة القرارة دائرة غرداية جنوب الجزائر يوم 23 ماي 1980 وكان يوما تاريخيا مشهوداً في تـاريـخ العلم والعلمـاء والتفسير والمفسرين قـل نظيره في التاريخ الاسلامي

أمـا القطب الشيـخ طفيش رحمـه الله فقـد ألف تفسيره تأليفا بالكتـابـة وبخـط يـده ، واني وان كنت - كبقية الدارسين والمدرسين - لم أدرس تفاسيره الثلاثة دراسة معمقة كاملة الا أنه بمجرد إلقـاء نظرة على بعض فقرات منـه - خـاصـة التيسير - نجـده رحمـه الله كثيرا مـا يجره الجـانب اللفظي في القرآن فيغرق في المبـاحث النحـويـة والصرفيـة فيخرِّج الآية على كل الوجوه المحتملة في إعرابهـا اذا كـانت محتملـة لعـدة وجـوه وتجتـذبـه التخريجـات البـلاغيـة في التراكيب المجـازيـة والاستعـارات يجريهـا على مختلف كـل الوجوه المحتملة لها . وهذا جانب بارز في أغلب تفاسيره بل

تآليفه مما يدل على باع طويل وقدرة فائقة وتمكن مكين في العلوم الآلية والصناعة اللفظية .

الجانب الثاني من تفسير القطب الجانب العلمي الفقهي ـ اذ كثيرا ما يتعرض للجانب الفقهي التشريعي العملي من آيات الأحكام فيستطرد من آية معينة الى كثير من مباحث الفقه والمواضيع الفقهية المتصلة بالآية من قريب او من بعيد غير مرتبة مسائله كما رتبها القرطبي او الرازي مثلا ولذلك نجد كثيرا من المباحث الفقهية برمتها واردة في شرح النيل كما هي واردة في التفسير وقد لا نفرق بين المتقدم منها والمتأخر إلا بمعرفة التاريخ وبصعوبة اذ كان يجمع بين عدة تآليف في آن واحد .

كما أن القطب رحمه الله تغايرت طريقته في التفسير بين ما ألفه من التفاسير في العشرينات من عمره في غضارة شبابه وبين ما ألفه في عقود نضجه بعد العقد الخامس من عمره

أما ما ألفه في غضارة شبابه بين العشرينات والثلاثينات من عمره مثل هميان الزاد الى دار المعاد ويقع في اربعة عشر مجلداً يناهز الواحد منها الستمائة صحيفة أو تزيد فقد غلب عليه النقل كثيرا الى حد الاغراق فيه واقتباس بعض الاسرائيليات عمن سبقه من المفسرين .

أما وقد نضج عقله واستبحر علمه وبلغ درجة الاجتهاد المقيد ثم المطلق فقد تخلى عن معظم الأقاصيص وجرد تفسيره « التيسير » و« داعي العمل ليوم الأمل » من كثير من النقل والرواية مقتصراً على ما أداه إليه فهمه واستنباطه من النص القرآني من نكت بلاغية وأحكام فقهية مع الاستئناس ببعض أقوال من سبقه .

أما الامام الشيخ بيوض رحمه الله . فقد درس التفسير تدريساً وسط المسجد في درس عمومي لكافة المسلمين في البلد ولم يؤلفه تأليفا ، وشتان بين طريقتى التأليف والتدريس وكان يحضر لدرس الشيخ بيوض في التفسير مئات من مختلف الأعمار والطبقات فيحضره الشيخ العالم والاستاذ والمعلم والتلميذ والموظف كما يحضره العامي الجاهل من فلاح وتاجر وصانع وأجير ، ويحضره الشيخ المسن الكبير المعمر والطفل الصغير في العقد الأول من عمره ويحضره الجنسان من ذكور وإناث . وعلى المدرس في مثل هذا المجمع أن يفيد الكل بحسب مواهبه ومداركه ، ولذلك كان الشيخ رحمه الله ينحى في تفسيره جانب الادكار والاعتبار - مبرزاً جانب الهدي والارشاد في القرآن فيطنب في اظهار جانب التناسب المعجز بين القرآن ومتطلبات الحياة المعاصرة ومقتضياتها بما في ذلك مواكبة التطور العلمي والتقدم الحضاري والاكتشافات

الفضائية والمظاهر الطبيعية في السماوات وفي الارض وفي النفس البشرية ، ويركز خاصة على جانب التربية والتثقيف للانسان وتزكيته فردا ومجتمعاً بمحاربة الرذائل الخلقية والآفات الاجتماعية وغرس المكارم وفضائل السلوك في حياة الناس في علاقتهم مع ربّهم وعلاقتهم مع بعضهم في نطاق الأسرة بين الأزواج والآباء والأبناء ، والأقارب والأرحام ، وفي نطاق المجتمع الأوسع بين المتجاورين والمتساكنين في نطاق العشيرة والقرية والوطن الكبير وحتى الانسانية كلها ، والخلائق جمعاء وفي نطاق علاقة الحاكم بالمحكوم ، وعلاقة الرعية بأولى الأمر مبينا حقوق وواجبات البعض نحو البعض .

كما يعني بالجانب المادي من حياة الناس من حيث المعاملات الجائزة والممنوعة خاصة الناحية الاقتصادية بيعا وشراء ، وابعاد الناس عن الربا والميسر ، والغش والغرر ، وتطفيف الكيل والموازين والاحتكار والمغالاة في الأسعار واثر ذلك في تخريب المجتمعات . ويركز على مقاومة الآفات الاجتماعية من خمر ومخدرات بأنواعها وبغاء وفواحش القول والعمل - ما ظهر منها وما بطن - ويبين حرص القرآن على تطهير المسلم من كل ذلك اعدادا له للقاء ربه بنفس مطمئنة راضية مرضية . معرضا في أغلب الأحيان عن المباحث اللغوية نحوية أو صرفية أو بلاغية شكلية .

اللهم إلا في بيان بعض النكت في تقديم لفظ على آخر او استعمال فعل أو حرف بدل غيره مما قد يرادفه او يظن قيامه مقامه ، وهو انـدر ما يكون تعرضا للقصص وتفاصيلها التي يحلو لبعض القصاص الاطناب في جزئياتها التخمينية الظنية .

وان كان ولا بد ان يتعرض لبعض قصص الانبياء ، او قصص القرآن فطريقته أن يجمع كل النصوص الواردة في القرآن في خصوص تلك القصة ، حتى تكتمل أحداثها ووقائعها كما قصها الله أما أن يحاول استكمالها بما ترويه كتب القصص من غرائب الاسرائيليات فذلك ما لا نكاد نجد للشيخ رحمه الله شيئا منه لا في التفسير ولا في غير التفسير من دروسه ولو في باب الترغيب والترهيب . وشعاره دائما في مثل هذا قول القائل ـ من لم ينفعه كلام الله لم ينفعه كلام غيره ـ كما أنه إذا احتاج الى التركيز على كلمة ما من الوجهة اللغوية واشتقاقاتها فإنه لا تعجزه الإفاضة فيها بالشواهد العربية ـ شعرا ونثراً ـ وإذا أراد التركيز على معنى من المعاني بالأمثلة انهالت عليه الأمثلة والحكم المأثورة من كل حدب وصوب عربية وغير عربية . كما أنه لا يغرق كثيرا في تفريع المسائل والأحكام الفقهية الفرعية من الآية كما فعل الامام القرطبي مثلا او ابن العربي والجصاص ـ في تفسيرهم لآيات الاحكام ـ اللهم الا في بعض السور او الآيات

التي قصد الله تبارك وتعالى فيها تركيز الكلام على احكام الاسرة والمجتمع مثل سورتي النور والاحزاب . واذا صح أن نشاكل تفسير الامام الشيخ بيوض رحمه الله المسجل في الاشرطة ولما يستخرج معظمه بعد ـ ببعض التفاسير المطبوعة المعروفة لدى الجميع ـ من حيث روحه ومنهجه وغاياته وأبعاده فإننا نشاكله بتفسير المنار من حيث المنحى الاجتماعي والحكمي والسياسي والاقتصادي . ونشاكله بظلال القرآن من حيث روحه وأثره في اصلاح الفرد بتعميق العقيدة في نفسه ، وطبع مكارم الاخلاق في سلوكه فرداً وجماعة وبذلك استطاع الشيخ بيوض رحمه الله بفضل التوجيه القرآني أن ينشيء أمة أو شعباً قوامة القرآن في معظم افراده ومختلف جوانب حياته .

ولعل هذه المدرسة الأخيرة هي أوفق المدارس وأفيدها لحياتنا المعاصرة وأجيالنا الصاعدة وعلى من تصدى لبعض التفسير أن ينتهجها على شرط الاستعداد والتأهل لها بشروط لابد من توخيها والتمكن منها نوجزها فيما يلي :

1 **اعظام مقام الله عز وجل وعظمة كلامه** الى حد الهيبة والخشية خوفا من تقحمه حتى تأخذ المرء قشعريرة كما قال تعالى : **(الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله)**

2 حفظ القرآن كله من أوله الى آخره عن ظهر قلب أو على الأقل الالمام به من فاتحته الى خاتمته اذ كثيرا ما يوجد تفسير آية في آية أخرى ولذلك **قيل ما فهر القرآن مثل القرآن** - والله أعلم وادرى بمراده من كل من سواه ، كما توجد احكام مسألة ما موزعة بين عدة سور مثل أحكام النساء والمحارم والحجاب والمواريث والربا ومحرمات الطعام وأحكام الأموال والدماء والأحوال الشخصية ، وأحكام السياسية والسلطات . فقد وعد الله بذلك وانجز وعده « **ثم إن علينا بيانه** » .

3 الالمام بأكثر ما يمكن - ان لم نقل بكل ما نقل وثبت عن النبيء ﷺ من بيان وتفسير للقرآن - فقد خوله الله تبارك وتعالى ذلك بقوله (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**) ، وبذلك يكون تفسيره عليه السلام في الدرجة الثانية بعد تفسير الله لكلامه وان كان تفسير القرآن بالسنة النبوية القولية او العملية - من حيث مصدرها إذا صحت لا تقل عن تفسير القرآن بعضه بعضاً إذ الكل وحي - (**وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى**)

4 الاطلاع على أكثر ما يمكن الاطلاع عليه من تفاسير الصحابة رضي الله عنهم اذ هم أولى من فسر

القرآن - بعد الله عز وجلّ ، ورسوله عليه السلام ، وذلك لفضلهم وشرفهم بمؤاكبة التنزيل ومعاصرة الرسول وتخرجهم على يده - **(يطهرهم ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)** ، وبمعرفتهم بأسباب النزول ومناسبات التشريع والحوادث والوقائع المشرع لها مع سليقتهم العربية الفطرية التي نزل القرآن بها فهم ادرى بكلامهم ولغتهم وأساليبها وتراكيبها - حقيقتها ومجازها ، كناياتها واستعاراتها مع عمق العقيدة وقوة الخشية ان يتقولوا على الله ورسوله ما لم يقل - ولذلك قال عنهم عليه السلام **(أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)**

5 المعرفة قدر المستطاع بتاريخ عصر الرسالة والتنزيل والتشريع والوقائع والأحداث المعبر عنها - بمناسبات او اسباب النزول على أن يستأنس بها في فهم الآيات المنزلة مجرد استئناس ولا تقيد الآية بسببها **اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب** - ذلك قوله تعالى : **(وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا)**

6 الرسوخ في اللغة العربية وعلومها الآلية - اسمائها وأفعالها - بل وحروفها ومصادر اشتقاقها وصيغ

جموعها ، واعرابها وصرفها ، وبلاغتها ومباحث معانيها ، وبيانها وبديعها ، اذ القرآن مظهر قاموسها ومعجم علومها ، وقديما قيل : **القرآن قاموس الفقراء**

7 المعرفة معرفة صحيحة والرسوخ رسوخاً ثابتا في اصول الدين والعقائد الصحيحة اللائقة بجلال الله عز وجل ، في توحيده وتنزيهه وبملائكته وكتبه ورسله - ووعده ووعيده ، ورأفته ورحمته وبطشه وجبروته - وارادته ومشيئته - **حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها** عند التعرض للايات المتشابهات **ووجوب ردّها للآيات المحكمات**

8 الاحاطة علما بأصول الفقه والاستنباط التي وضعها العلماء لاستخراج الاحكام من أدلتها عند التعرض لما عُبّر عنه بآيات الأحكام لاستخلاص التشريع العملي منها - بما في ذلك صيغ طلب الفعل بالايجاب او الندب أو صيغ طلب الكفّ بالتحريم أو الكراهية وصيغ التخيير وغير ذلك من مباحث الأصول الفقهية القريبة والبعيدة من عموم وخصوص ، وإجمال وبيان . واطلاق وتقييد وغير ذلك مما هو مفصل في كتب الاصول .

9 الالمام قدر الامكان بتاريخ الأمم والشعوب الماضية مع رسلها وانبيائها وعظمائها في حالة ايمانها واستقامتها وسلامتها ، او حالة كفرها وطغيانها وهلاكها .

ليتمكن من تفسير قصص الأنبياء وقصص القرآن تفسيرا يتناسب مع الاتعاظ والاعتبار كما قال تعالى **(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون).**

10 الاطلاع والتفتح على العلوم الكونية المعاصرة علويها وسفيلها في نطاق السماوات وأفلاكها وأبراجها وأبعادها وأجرامها - وانتظامها في مداراتها ومجراتها في الأرض وما عليها من إنسان وحيوان ونبات وما فوقها وما تحتها من أقوات وطاقات ومناجم ومعادن وكنوز بين طبقاتها وبذلك يجد مصداق الآية العظيمة الكريمة من قوله تعالى **(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبين لهم أنه الحق** وليدرك أنه **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .**

11 دراسة العلوم النفسية والتربوية والسيكولوجية للانسان وغيره من الكائنات الطبيعية خاصة النفس البشرية ليدرك حكمة الشارع في القرآن وما أخذ به الانسان من أسلوب التربية والهداية فيما شرع الله له أو نهاه عنه حسب منافعه ومضاره ، وما يصلح له في دنياه وأخراه ، وما يفسد عليه معاشه ومعاده ، وحمله على ذلك

بقوة إلزامية ترغبه أحياناً في الوعد والثواب ، وترهبه تارة أخرى بالوعيد والعقاب العاجل والآجل وجعله يعيش دائما بين الخوف والرجاء يدعوه رغبة ورهبة خاشعا ، راجيا رحمته وحذراً من عقابه مستحضراً قوله تعالى : **(نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم)**

12 بعد ان يستكمل كل تلك الشروط يقدم على ما يقدم عليه من تفسير **كلام الله مستعينا به مستهدياً إياه معتصما به من الزلل والخطإ واجف القلب مرتعد الفرائس** أن يتقول على الله مالم يقل فيضل ويضل ويحق عليه وعيده في قوله عن نبيئه : ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين .

ذلك ما يجب أن يتحلى به المتصدي للتفسير ، وكأني بالبعض يقول متسائلا أتريدون من المفسر أن يكون دائرة معارف ؟

نقول نعم يجب أن يكون كذلك اذا أراد تفسير القرآن من أوله الى آخره ومن جميع جوانبه **مادام القرآن أوسع دائرة معارف في الوجود الكوني لقوله تعالى : (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً)** . وقال :

(ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله) .

أما من اراد أن يتصدى لجانب معين من جوانب القرآن فقط يتبينه فله ذلك والقرآن كما قال عنه عليه السلام **(قدح عسل كله شاف كاف)** فليتدرع مثل هذا بما يؤهله لفهم ذلك الجانب ، على غرار ما قيل من جواز تجزئة الاجتهاد وذلك ما نجده في بعض التفاسير الجزئية كتخصيص آيات الأحكام بالتفسير كما فعل كل من أبي بكر الجصاص - وأبي بكر ابن العربي - أو الآيات الكونية كما ذهب إلى ذلك الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره حيث ركز على الطبيعيات وكما فعل عبد الوهاب النجار في تخصيص قصص الأنبياء بالكتابة عنها وكذا الكتب التي وضعت لاعراب القرآن وقراءاته، واسباب نزوله ، فمن أراد أن ينتحي منحىً من هذه النواحي فما عليه الا أن يبرّز في ذلك الجانب دون سائر الجوانب الأخرى ان امكن فصل بعضها عن بعض **وقلما تنفصل .**

أيها القارئ الكريم ذلك جانب من عظمة القرآن يتجلى في تفسيره وأصوله وطرقه ومدارسه وشروطه ومؤهلاته ، **وعلى الأمة الاسلامية جمعاء والأمة العربية بالتبع - اذا ارادت استرجاع عظمتها وعزتها أن تعود إلى**

كتاب ربّها تستمد منه القوة والعزة ، والهدي والرشاد ، والحكم والتشريع لكل ما يصلح أمرها دنيا وأخرى بما في ذلك الحكم على العلوم الكونية المعاصرة والقوة المادية العسكرية في حربها وسلمها ـ فما علمت الأمة الاسلامية في أوج عظمتها في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه شيئا من العلوم تذكر غير القرآن حتى روي عنه أنه كان يزجر عن الاكثار من رواية الحديث النبوي فضلا عما سواه ويقول لأبي هريرة إذا وجده يحدث الناس ـ قم لا تفتن الناس عن كتاب ربهم ـ وقيل ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية وجد بها مكتبة زاخرة . وكأنى بها اشتهرت في التاريخ فتحير في أمرها أيغنمها أم يدعها لأصحابها فبعث في شأنها إلى أمير المؤمنين الخليفة عمر يستشيره فقال له عمر ـ **انظر فيها فإن كان ما بها يوافق كتاب الله فلنا في كتاب الله غنية وإن كان ما فيها يخالف كتاب الله فلا حاجة للمسلمين لما يخالف كتاب ربهم .**

وعليه أيها الأخوة المؤمنون قد روى عن الامام مالك ابن أنس امام دار الهجرة أنه قال : **(لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وما صلح أول هذه الأمة الا بالقرآن)** وإذ نشكر الله عز وجلّ على أن ألهم هذه الأمة الجزائرية المسلمة حكومة وشعبا ـ لإقامة هذه الملتقيات

الاسلامية ـ خاصة هذا الـذي خصص للقرآن ـ فنرجو من بقيـة الأمم والشعوب الاسلامية ـ حكومات وشعوباً ـ ان تحـدو هـذا الحـدو على أن لا تكتفي ولا يكتفـوا بمجرد الشعـارات ، بـل يجب أن نعقـد العزم جميعـا على الرجوع الى القرآن رجوعـاً حقيقيا عملياً وذلك بما يلي .

1 أن يفسـح للقرآن وعلـومـه ودراسـاتـه ـ تعليمـا وتدريساً ـ حفظا ودراية . مجـال فسيح كـاف بـأوسع مـا يمكن ضمن المنـاهـج التربـويـة والـدراسيـة في مختلف مراحـل التعليم الابتـدائي والمتـوسـط والثانوي والعالي ، ان لم يكن له نصيب الأسد فليكن على الأقل مسـاويـاً لغيره من المواد الـدراسيـة من حيث التـوقيت والتقدير والاعتبار .

2 ان يطبع المجتمع كله بطـابع قرآني في نطـاق الأسرة في البيت وفي نطـاق المـدرسـة والفصـول والمـؤسسـات ، وفي نطـاق الشـارع والاسـواق ، وفي الحقـول والمـزارع ، والمتـاجر والمصـانـع ، وفي الادارات والثكنات .

3 أن يصطبغ تشريع كـل دولـة بصبغـة الله ـ ومن احسـن من الله صبغـة ـ فتجعـل القرآن المصـدر الأول

لتشريعها ، ثم من بعده السنة النبوية المطهرة الصحيحة ، ثم التراث الفقهي الاسلامي الغني الغزير - ولا مانع بعد ذلك - إن احتيج - ولا نظن نحتاج - أن نقتبس من هنا وهناك من تشاريع أخرى مما لا يتنافي مع الاسلام في شيء من روحه وجوهره ، أو مادته ومظهره .

ولئن أخذت الامم الاسلامية نفسها بهذا - وما أيسره عليها ان شاءت وسييسرها الله تعالى لذلك ان أرادت - فلابد ان تسترجع عزتها وعظمتها فلا ترتد الادبار أمام عدوها مهما بلغ عدداً وعدة وتثبت أمام أية فئة مهما كانت ما لم تختلف أو تتنازع فتفشل وتذهب ريحها . وذلك قوله تبارك وتعالى **(يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)** وعندئذ إذا غير المسلمون الحاليون ما بأنفسهم غير الله ما بهم من ضعف وهوان إلى قوة وعزة وذلك قوله تعالى : **(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** . وعندئذ فقط ينجز الله لهم وعده **(ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) (وان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)** .

وجماع ذلك كله وعد الله عز وجل - ووعده الصادق **ولن يخلف الله وعده** اذ يقول (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأوليك هم الفاسقون واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون**) .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

السنة
روايتها ورواتها
عند الاباضية

الحمد الله الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين . تلبية لدعوة خليله ابراهيم إذ قال : **ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك وأرنا مناسِكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم ءاياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم .**

والصلاة والسلام على أشرف الانبياء وخاتم المرسلين النبيء الأمي الصادق الامين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم إذ قال : **أنا دعوة أبي ابراهيم .** وقال : **أوتيت القرآن ومثله معه** كما قال في اخريات أيامه : **تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من**

بعدي أبداً كتاب الله وسنتي ، فصلى الله عليه وعلى آله الذين اتبعوه وصحابته الذين ناصروه وعزروه واتبعوا النور الذي أنزل معه فاعتصموا بحبل الله فأقاموا كتابه ، واهتدوا بهدي نبيه فتناقلوا حديثه وأحيوا سنته .

أما بعد أيها الإخوة المؤمنون فإنه يتعين على كل باحث في التراث الفكري الاسلامي - خاصة تراث السنة النبوية الشريفة الغزيرة المادة ، المنقحة والمطهرة في محتواها - أن ينطلق من معطياتٍ أساسيةٍ وقواعد مؤصّلةٍ تأصيلاً ثابتاً متفقاً عليها بين جميع الأمة الاسلامية على اختلاف مذاهبها وشيعها وطوائفها وفرقها ، قديمها وحديثها ، ما بقي منها وما اندثر ممّا لا يسوغ الخلاف فيه بين عالمٍ وآخر فضلاً عن طائفةٍ أو فرقة وأخرى .

وإليكم حضرات القراء الكرام أهم هذه الأصول وقد تكونون أعلم بها من قبل

أولا : إن أول وأهم هذه الأصول الأساسية **أن قوام الأمة الاسلامية في تشريعها لكل جوانب حياتها - الروحية منها والمادية - إنما هو القرآن الكريم كتاب الله الذي أنزله هدىً للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان ، أكمل الله به ديننا وأتم به نعمته علينا ورضي لنا الاسلام ديناً فجعلنا خير أمةٍ أخرجت**

للناس ما استمسكنا به ـ فاقامنا شهوداً على الناس وأقام الرسول شهيداً علينا ـ إذ أنزله الله تبياناً لكل شيء ، وما فرط فيه من شيءٍ من الكليات التي يحتاج اليها الانسان ـ فرداً أو مجتمعا ـ في تنظيم علاقته بخالقه على جهة التعبد والتقرب اليه ، أو علاقاته مع بني جنسه ـ أفراداً أو جماعات ـ في نطاق الحياة الزوجية والعائلية والعشيرة أو القرية والدولة أو الانسانية صديقة أو معادية أو مهادنة . بل وبكل الكائنات غير الإنسان من الجن والنبات والحيوان وذلك قوله عزّ وجلّ : **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيءٍ** . وقال : **ما فرطنا في الكتاب من شيء** .

ولعظم القرآن وخطورته في حياة الأمة وضمان خلودها واستمرارية رسالتها فقد تكفل الله عز وجلّ ان يحفظه بقدرته وعزته ويصرف عنه كلّ تبديل أو تغيير أو تحريف ـ بزيادة أو نقصان ـ في نص متنه أو أن ينقض حكم من أحكامه أو حقيقة من حقائقه العلمية ما مضى منها وما هو آتٍ وما ظهر منها وما استتر فقال : **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** . وقال : **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميدٍ** . ووعد أن يظهر أحقيته وحقيقته لجميع الأجيال اللاحقة بما يريهم من آياته

في الافاق وفي أنفسهم فقال : **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .**

فهذا هو الأصل والأساس الأول للملة ـ مما لا يجوز أن يشك فيه مسلم أو يختلف فيه اثنان .

ثانيا : الأصل الثاني أن **القرآن جاء على ما يقتضيه الإعجاز البلاغي من الاجمال والايجاز الكامل الوافي الميسّر فهمه مع إقامة الحجة بالإعجاز والتعجيز لمناوئيه أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور ولا بسورة من مثله** ممّا عبر عنه البلغاء بالسهل الممتنع وذلك قوله تعالى : **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر** ، كما قال لنبيئه . **هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أمّ الكتاب . ـ مرجعه ومرده ـ** في البيان والشرح والتفسير والتوضيح لما أجمل منه أو أشكل عليكم وقال في مقام التعجيز : **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين . وقال : قل لئن اجتمعت الإنس والجنُ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .**

فكان ذلك الاجمال محتاجاً ومتطلباً بياناً وتفسيراً وفهماً وتأويلاً ، وقد تكفل الله عز وجل ببيان بعضه إذ قال لنبيئه : **لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه** ، بينما خول المولى عز وجل وشرف نبيّه الكريم ببيان البعض الآخر ممّا غمض - **وإن كان الكل من عند الله** - فقال : **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ، وكأن المتأمل في هذا التوزيع يتبين أن الله تبارك وتعالى قد تكفل ببيان الجانب الذي لاحظ للعقل البشري فيه ممّا لا يسع فيه الخلاف ، بينما ترك لنبيئه عليه السلام الجانب الذي قد يسع الخلاف فيه ، باعتبار المصالح والمفاسد أو المنافع والمضار المختلفة زماناً ومكاناً وأشخاصاً فوضع عليه السلام - بإذن ربه - لذلك أصولاً وقواعد مرنةٍ ذات صلوحية للتطور وفق متطلبات المكلفين في إطار من الأصول والمقاصد الكبرى لا تخرج عن نطاقها ومن **ثم أصبح البيان النبوي موافقاً للقرآن وموازياً له لا يعارضه في شيء ولا يناقضه ضرورة** أن البيان يأتي وفق المبين ، كما أنه لا يقل أصالة وشرعية عن البيان القرآني للقرآن مادام الكل وحياً من الله مأذوناً فيه من قبل الله « **ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** » « **ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم**

لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين » .

ثالثا : الأصل الثالث أن السنة النبوية بقدر ما يتعين على المسلمين اخذها واتباعها ـ بالعمل وجوباً أو ندبا وبالترك حرمة أو كراهية ـ حسب صيغهما وقرائنها : إلا أنها **تابعة للقرآن ومصدقة له لا معارضة ، لاحقة به لا سابقة عنه يتقدّمها ولا تتقدمه ويهمين عليها ولا تهيمن عليه** يصدّقها وتصدّقه ولا يمكن أن تعارضه أو تصادمه في شيء من نصوصه إذ هو قطعي المتْنِ دائما ، وقطعي الدلالة غالباً بينما هي ظنية المتن غالباً وان كانت قطعية الدلالة أحياناً . **فله القوامة والدرجة العليا عليها ، ولها المرتبة الدنيا دونه** ومن ثم كانت علاقتها به كما صنفها العلماء ، على أحوال مختلفة .

أ ـ أن تكون مؤكدةً له في شيء شرعه مثل حرمة أكلَ أموال بعضنا بعضاً بغير حقٍّ ، حيث ينص القرآن بقوله : **ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم ولا تقتلوا أنفسكم** . فتأتي السنة مؤكدةً ذلك بقولها : **لا يحل مال أمرئٍ مسلم إلا عن رضى أو : إلا عن طيبة نفس .**

وقـــالت كـل المسلم على المسلم حرام دمـــه وماله وعرضه .

ب ـ أن تكون مبينةً له وهي أغلب أحوالها ومهمتها ، فقد أمر القرآن بـالصلاة والـزكـاة وأوجب الحـج على من استطـاع إليه سبيلاً فجاءت السنة النبويـة تقول على لسـان صـاحبهـا : **صلوا كمـا رأيتموني أصلي** ، وكتب عليـه الصلاة والسلام كتاباً لبعض الجباة يبيّن فيه أصناف وأنصبـة ومقادير الزكاة ، وقال في حجة الوداع **خذوا عني مناسككم** .

جـ ـ أن تكـون مكملـة لـه بـأن تضيف للتشريـع أحكـام أشياء سكت عنهـا القرآن ولم يتعرض لهـا مثل مشروعيـة حـد الرّجم للـزاني المحصن وحرمـة ذوات الأنيـاب والمخـالب من السباع والطير .

د ـ **أن تكـون نـاسخـة ـ لمـا يحتمـل النسـخ من الأحكـام العمليـة الظنيـة دون الأصـول العقـائـديـة القطعية أو الأخبار أو مكارم الأخلاق** التي يستحيل في حقها النسخ ـ وإن كان هذا الصنف من علاقة السنـة بـالقرآن مختلفاً فيه بين المذاهب ـ لأنه وإن صحّ نظرياً عند من يرى جواز ذلـك إلا أنـه لا يكـاد يصحّ عمليـاً ، لأن الأمثلـة التي سيقت كنماذج من نسخ القرآن بالسنة أمثلة غير مسلم بها عند

الجميع أنها ناسخة لحكم قرآني من مثل اعتبار قوله ﷺ : **لا وصية لوارث** ناسخا لقوله تعالى : **كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين** فالاصوب أن الآية مازالت محكمة وإنما السنة قيّدت بعض مجال تطبيقها **ومثل هذا لا يعتبر نسخاً عند المحققين ومنهم الاباضية .**

وإنزال السنة تلك المنازل من القرآن هو سرّ الترتيب في الذكر والعمل في موارد الجمع بين الله والرسول في وجوب الطاعة ، وترتيب الكتاب ثم السنة في لزوم العمل بهما فقد قال تعالى : **ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ، وقال : **ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً** ، وفي مقام العصيان قال : **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً** والواو تقتضي الترتيب في القرآن وإن لم تقتضه في غيره - عند المحققين - وذلك قوله عليه السلام **تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وسنتي** وذلك ما أفاده إقراره عليه السلام لمعاذ بن جبل وقد بعثه إلى اليمن وسأله بم تحكم إذا عرض لك قضاء قال : **بكتاب الله** قال : **فإن لم تجد قال فبسنة رسول الله ،** وذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتوصيته في كتابه لأبي موسى الأشعري ، وعلى ذلك

كان عمله هو وغيره من الصحابة رضي الله عنهم عندما يجد لديهم جديد **أن ينظروا في كتاب الله أولاً ، فإن لم يجدوا فيه طلبتهم نظروا في سنة رسول الله** ، وذلك مما علم من سيرتهم رضي الله عنهم بالإجماع . وعليه **فمهما وجدنا تعارضا بين الكتاب والسنة وإن كان هذا أمراً مستحيلاً من الوجهة الشرعية عند التحقيق ، فإن أمكن الجمع بينهما بوجه من الوجوه في الحالات التي يمكن فيها الجمع بينهما فبها ونعمت وإلا وجب ترك ذلك المزعوم أنه سنةً ولا كرامة إذ لا يمكن أن يكون سنة حقيقية ثابتة عن النبيء عليه السلام من حيث أنه لا يمكن أن يعارض أو يصادم بقوله أو فعله كلام ربه** ، بل يتعين أن يحمل ذلك القول المعارض للنص القرآني على أنه وضع وكذب نسب من طريق أو آخر إلى الرسول زوراً وتدليساً ، وقد قال عليه السلام : **ما بلغكم عني فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فهو مني ومالم يوافقه فليس مني أو كما قال .**

رابعاً : الأصل الرابع أن السنة لم يسمح النبي ﷺ بتدوينها من أول يوم كما فعل بالقرآن ، فبينما كان عليه السلام شديد الحرص على كتابة القرآن حتى أنه إذا نزلت عليه آية قرآنية لا يفتأ يكررها ويرددها ويدرسها آناء الليل

وأطراف النهار خشية النسيان حتى يجد كاتباً من كتاب الوحي عنه فيمليها عليه فيهدأ باله ويطمئن قلبه وقد جند عليه السلام لذلك عدة كتابٍ إذا غاب البعض حضر الآخر ومازال كذلك في عنتٍ ومشقةٍ حتى طمأنه الله بقوله : **لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه** ، وطمأنه أكثر بقوله : **سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله** ، بينما كان ذلك شأنه مع القرآن ، فقد كان موقفه من السنة غير ذلك فقد نهى عن كتابتها أول الأمر فقال : **لا تكتبوا عني غير القرآن وقال : من كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه** ، وقد حاول البعض أن يعللو هذا النهي عن كتابة السنة بقولهم خشية أن تشتبه على المسلمين بالقرآن فتختلط أو تلتبس به فلا يفرق بينهما ، ولكن هذا تعليل ضعيف يحط من قيمة القرآن ويعتبر مغمزاً فيه إذا فرضنا مساواته لغيره أو مساواة كلام أي مخلوقٍ له **فميزة القرآن في إعجازه الذي لا تلتبس به الألسنة** بحيث لو مزج بأبلغ كلامٍ عرفته العرب من كلامهم أو من كلام النبيء نفسه لتميز القرآن عن كل ما سواه ، أما التعليل الحقيقي للنهي عن كتابة السنة فهو ارشاد الصحابة رضي الله عنهم والمسلمين تبعاً لهم لمزيد العنايةٍ بالقرآن أكثر مما سواه حتى السنة فلم يرض النبيء عليه السلام أن يسوي بين القرآن وهو كلام ربه عز

وجل لفظاً ومعنىً بالسنة وهي كلامه لفظاً ونطقاً وإن كان معناها وحياً من الله فاراد النبيء عليه السلام أن يصرف الصحابة كل أو معظم أو جل اهتمامهم للقرآن تلقياً وحفظاً وكتابةً وتلاوةً ، ودرساً وتدريساً باعتباره الأصل الأول والقوام الحقيقي لهذه الملة ، وليكتفوا من السنة بالتلقي والرواية والنقل شفوياً فقط معتمدين على حوافظهم وذواكرهم القوية الجيدة شأن كل أمةٍ أميةٍ لم تتوفر فيها وسائل الكتابة وأدوات التدوين فإنهم يكونون أقوى ما يكونون حفظاً وتذكراً كما دلت عليه التجربة وهذا الذي قلناه في التعليل هو ما أدركه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في وصيته لجيش أسامة إذ قال لهم : **ستجدون قوماً لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تشغلوهم بغيره** ، وذلك ما طبقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي هريرة الراوية الحافظة حيث كان يعلوه عمر بالذرة كلما وجده جالساً إلى الناس يحدثهم ويقول له : **قم لا تفتن الناس عن كتاب ربهم** ، وبعد ذلك كان النبيء عليه السلام يحرضهم على حفظ سنته ونقلها عنه وإبلاغها إلى من يأتي بعده وبعدهم ما استطاعوا نقلها حرفيا فقال : **نضر الله امرءاً سمع مني مقالةً فوعاها وبلغها كما سمعها ، فرب مبلغٍ أوعى من سامع ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه** ، فدرج الصحابة رضي الله عنهم على ذلك ، مستغلين صفاء أذهانهم ورحابة صدورهم وجودة حافظتهم

تحفزهم على امانة النقل شعورهم بمسؤولية التبليغ التي كلفوا بها تبعاً للرسول عليه السلام في قوله تعالى : **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس** . فاصبحوا من الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويزجرهم عن ترك التبليغ أو الزيادة فيه أو النقص منه الوعيد الشديد الذي توعد الله به الذين يحرفون الكلم عن مواضعه أو من بعد مواضعه والذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى . إذ يقول الله عز وجل : **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وأكده عليه السلام بقوله من كذب عليَّ متعمداً فليتبّوأ مقعده من النار** ، ومن ثم حرص الصحابة رضي الله عنهم أن ينقلوا عن النبيء عليه السلام سنته القولية والعملية بحذافيرها نقلاً نزيها محتفظين جهد المستطاع على نص حروفه وكلماته ناقلين عين حركاته واشاراته فيما استعمل فيه إشارة أو حركة كقوله : **التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاثاً** ، ـ وما أذن النبيء ﷺ في كتابة السنة إلا في أخريات حياته ـ قيل عند خطبة الوداع لما طلب منه ـ أبو شاه ـ أحد الحاضرين في الحج أن يكتب له بعض ما سمع فقال عليه السلام **أكتبوا لأبي شاه** . وقيل أذن قبل ذلك لعبد الله بن عمر أن يكتب

عنه بعض أحاديثه فكتب صحيفته المشهورة المعروفة بالمعصومة أو الصادقة فكانت مفخرته ومفخرة اسرته .

خامساً : الأصل الخامس أن : مع كل التحري الآنف الذكر وذلك الحرص الشديد من الصحابة رضي الله عنهم في النقل فإن السنة لم يضمن لها من قطعية النقل مثلما ضمن للقرآن فالفطرة البشرية التي فطر الله الناس عليها ـ فطرة النسيان ـ الذي لا يسلم منها أي مخلوقٍ بما في ذلك الأنبياء والمرسلون أحياناً وقد نص القرآن والسنة على ذلك في مثل قوله تعالى : **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً** ، وقصة موسى والخضر وقوله تعالى : **ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها أو مثلها ، وقال سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله** وقال عليه السلام : **لا أنسى ولكن أنسّى لأُ شرّع** ، أو كما قال ومن أجل ذلك رفع عن هذه الأمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، **وعلمنا الله أن ندعوه بقوله : ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا .....**

انطلاقاً من هذه الحقيقة الفطرية البشرية فقد يعتري وقد اعترى فعلا أن يحفظ الراوي بعض الحديث وينسى بعضه وقد يحفظ البعض بلفظه ومعناه بينما البعض الآخر يحفظه بمعناه وينسى لفظه وقد يروي الراوي كامل الحديث وقد

حفظه كما يحفظ السورة من القرآن بينما البعض الآخر يروى جزءاً من ذلك الحديث حسب مقتضى الحال ، وكان الصحابة رضي الله عنهم يحضر منهم من مجالس الرسول مالا يحضره غيره كما أن هذا البعض يغيب عن مجالس أخرى يحضرها غيره ، ومن ثم كان تفاوت الصحابة في الحفظ والنقل فينقل هذا ما لا ينقل ذاك ويحفظ هذا ما ينسى الآخر والعكس ولا ينكر أحدهم على الآخر بل يصدق بعضهم بعضاً ويكمل بعضهم نقص البعض مالم يقم دليل ريبةٍ من غفلة أو سهوٍ أو نسيان على البعض أو سوء فهم وإدراكٍ أو تأويل من احدهم .

فكان الصحابة كما قال ابن عباس عنهم رضوان الله عليهم ـ الواحد منهم كالإخاذ ـ الغدير ـ الإخاذ يروى الواحد ، والإخاذ يروى العشرة ، والإخاذ يروى المائة والإخاذ يروى الالف ، والإخاذ لو ورد عليه أهل الأرض لوسعهم ، وذلك التفاوت بحسب اعتبارات عدةٍ منها الاسبقية الى الاسلام ومزيد التعمير في الحياة بعد وفاة النبيء عليه السلام ، مثل الامام علي كرم الله وجهه ورضي عنه وآنس بن مالك رضي الله عنه ، ومنها قوة الصلة وكثرة المخالطة للنبيء عليه السلام مع التعمير بعده مثل ابن عباس مع ماحظى به من دعاء النبيء له بالتفقه في الدين ، ومثل عائشة رضي الله عنها

وقد حظيت بعناية خاصة منه ﷺ وأرشدنا أن نأخذ شطر ديننا عنها كما ورد في بعض الأحاديث ، ومنها شدة الملازمة للنبيء ﷺ في مجالسه وحله وترحاله مثل أبي هريرة وقد كان من أهل الصفة يكتفي باللقمة واللقمتين يتبلغ بهما حرصاً على حفظ سنة النبيء ﷺ وقد حظي ببركة ردائه إذ جلس عليه فدعا له أن لا ينسى شيئا سمعه منه عليه السلام .

ومع ذلك التفاوت **فقد كانوا جميعا يأخذ بعضهم عن البعض ولا يخطيء بعضهم البعض مادام رائدهم جميعا النصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، فكانوا جميعا محل تزكية وثقة في نفوس المسلمين من الصدر الأول أو القرن الأول - خير القرون - قرن المهاجرين والانصار طيلة مدة الخلافة الرشيدة وقد قال ﷺ فيهم: خير القرون قرني** وقال : **أصحابي كالنجوم بأيدهم اقتديتم اهتديتم** إلى غير ذلك من عبارات التزكية والتعديل لهم ضمن كتاب الله وعلى لسان رسول الله . ومن ثم أقبل الناس عليهم ومعظمهم مجتمع في المدينة المنورة المركزية الاسلامية العلمية والسياسية آنذاك ينقلون عنهم مروياتهم من غير حاجة إلى تمييزٍ أو تمحيصٍ ولا الى تزكيةٍ وتعديل أو قدح وتجريحٍ اذ لا مبرر لذلك آنذاك .

سادساً : الاصل السادس أنه : **بعد أن انقرض أو ذهب معظم الرعيل الأول خير قرون هذه الأمة قرن النبيء ﷺ من المهاجرين والانصار من مسلمي ما قبل الفتح ـ فزالت دولتهم وخلافتهم الرشيدة ـ انقسمت الأمة الاسلامية احزاباً وشيعاً وطرائق قدداً كل حزبٍ بما لديهم فرحون** ، وافترقت البقية الباقية من الصحابة على الامصار بعد أن وقع ما وقع مما قضى الله به وقدر وقوعه على هذه الأمة ابتلاء لها منه وفتنةً ولحكمة استأثر بعلمها وقد دخل في الاسلام أمم وشعوب وأجناس شرقية وغربية وشمالية وجنوبية رغبة في الاسلام واقتناعاً به ، أو رهبة منه وكيداً له ، وكان لكثير منهم ديانات وثقافات وآداب وفلسفات قديمة سماوية أو أرضية مغايرة للاسلام في معظم الأصول ، فاتصلوا بالمسلمين بعد أن نزغ الشيطان بينهم ، فغذى أولئك الكائدون تلك النزغات والنزاعات فأقبلوا على الرواية عن هذا الصحابي لممالأة هذه الطائفة وينكرون الرواية عن الآخر لمناوءته الوضع القائم والسلطان الحاكم . فاكره الكثير على القول بما يكره وغير ما يعتقد أو ملازمة الصمت والسكوت كما في قضية تحويل الخلافة ملكاً عضداً . **واختفى البعض عن مسرح الحياة مستتراً فارا بدينه ناجياً بنفسه بعد أن جاهد وعجز أن يرجع الحق إلى نصابه فاتهم بما اتهم به من انفصاليةٍ**

وخروج أو رجعيةٍ وجمود حسب التعبير المعاصر ، وأخذ البعض يكيل للبعض الشتائم جزافاً ظلماً وزوراً وافتراءً وبهتاناً فاستغل الذين في قلوبهم زيغ هذا الظرف للخب والوضع فظهرت حركة الوضع والكذب بوضع الاحاديث في السنة وتأويل الآيات المتشابهات من الكتاب ابتغاء الفتنة فاختلط الغث بالسمين والقوي بالضعيف والصحيح بغيره والحق بالباطل والصدوق بالكذوب .

وواكب ذلك أو كاد أن يواكب عصر ظهور المذاهب المتأخرة في نشأتها وتأسيسها وتأصيلها فانحاز كل لمن يثق به عدالةً ونزاهةً وفقهاً وعلما ووضع كل مذهبٍ أصوله وقواعده في الأخذ والترك ومقاييسه للتعديل والتزكية او القدح والتجريح مراعين في كثير من الأحيان التوافق والتخالف المذهبي .

تلك أصول وأسس لدراسة السنة ومكانتها وطرق وصولها الينا مما لا نظن عالماً ولا مسلماً له أدنى إلمام بتاريخ الاسلام وعلومه يخالف فيها . فما موقف المذهب الاباضي إزاء كل ذلك ـ وما مصادر السنة وطرق روايتها عنده ؟

إن المذهب الاباضي وهو أول المذاهب الاسلامية وأسبقها زمنا ـ باعتبار إمامه ومؤسسه الديني جابر

ابن زيد ـ تلميذ ابن عباس وعائشة وغيرهما من كبار الصحابة السبعين البدريين ـ فهو في طليعة سائر المذاهب الاسلامية الحية النشيطة المتطورة مع الحياة ، المعمول به اليوم كأنصع مظهرٍ للإسلام في الجزائر الحبيبة وخارجها ـ لا يخالف في شيء من تلك الأصول أو الأسس الآنفة الذكر فهو يدين بما يلي :

1 ـ السنة منبع من منابع التشريع باعتبارها وحياً من الله إذ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وما ثبت بالسنة لا يقل مشروعية عما ثبت بالقرآن وعليه فليس لدى الاباضية فرق بين الفرض والواجب كما يراه اخواننا الاحناف ـ أبو حنيفة وأتباعه ـ من أن الفرض ما ثبت بالقرآن والواجب ما ثبت بالسنة ملاحظين نوع فرقٍ في قوة اللفظ أو الحكم بين الفرض والواجب يساوي الفرق بين قوة الكتاب ومشروعية السنة .

ومن ثم فالاباضية لا يفرقون بين وجوب أو فرض جلد الزاني الغير المحصن وقد ثبت في القرآن **ووجوب أو فرض رجم الزاني المحصن** وقد ثبت بالسنة **ولا فرق بين حرمة الميتة والدم ولحم الخنزير**وقد ثبتت في القرآن **وبين حرمة الحمار الأهلي والسبع والنمر والقرد من ذوات الانياب والمخالب** وقد ثبتت

بالسنة - إلا من حيث قطع وعدم قطع عذر وحجة من خالف في ذلك .

والاباضية لا يفرقون بين السنة الموحى بها وحياً ظاهراً أو التي أوحى بها وحياً باطنا خفيا وهي اجتهادات النبيء ﷺ فهم يجوزون الاجتهاد للنبيء ﷺ بالنص في حقه وبالقياس الأولوي على أمته ، فإذا استمر عليه ولم يتراجع عنه أو لم يعقب عليه أصبح سنة متبعة حسب رتبتها من الوجوب أو الندب **وبالتبع فهم يجيزون الخطأ في اجتهادات النبيء ﷺ الدنيوية** كما دلت عليه عدة وقائع من حياته في بدر والاحزاب والمخلفين ساعة العسرة ، **ولكن يحيلون اقراره عليه ، بل لا بد أن يتداركه الله ربه بالتصحيح والتصويب** اما بدون لومٍ واما بلومٍ لطيفٍ كما في قوله **عفا الله عنك لِمَ أذنت لهم** ، وإما بلومٍ عنيفٍ كما في قوله تعالى : **عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى ، وما عليك الاّ يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا إنها تذكرة** . وكذا في قوله : **ما كان لنبيء أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض**

الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .

2 ـ الاباضية ينصبون القرآن حكماً على السنة ومعياراً لها ومسبرا وميزاناً لصحتها فهو القيم عليها ، فلا يقبل منها إلا ما وافقه أو لم يعارضه ، وكل ما عارض القرآن في نصٍ من نصوصه القطعية التي لا تحتمل التأويل ولا النسخ رفض ، وعليه فكل من روى شيئا من ذلك ردت روايته ولو كان مشهورا بالعدالة والتزكية معمولا بحديثه في غير ذلك ، ومن ثم ومن أجل ذلك رد الاباضية ولم يقبلوا احاديث الرؤية المعارضة لقوله تعالى : لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ، وقوله : لن تراني ، لأنها معارضة أو مناقضة للقطعي من أصل تنزيه الله عز وجل عن التحيّز والتكيّف والتبعض والتشكل والتجزء والتجسد الى غير ذلك من مقتضيات الرؤية البصرية المتعارف عليها لدى المخاطبين .

ولم يقبلوا أحاديث الخروج من النار بعد الدخول والصلاء فيها إذ القرآن يقول : وما هم منها بمخرجين وينص على الخلود الابدي للعصاة في قوله : ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها

أبداً ولم يقبلوا أحاديث الشفاعة ـ دون الشفاعة العظمى في المقام المحمود الذي وعد الله به نبيئه ـ فلا تقبل الشفاعة الخاصة لمن مات على كبيرة أو كبائر ـ لمعارضتها لصريح القرآن إذ سوى في المصير بين الذين يموتون وهم كفار والذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ، وبين النفس التي لم تكن آمنت قبل أن ترى بعض آيات ربها ، والتي آمنت ولم تكسب خيراً في إيمانها قبل ذلك أيضا وذلك قوله تعالى : **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً .** وذلك قوله تعالى أيضا **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفارٌ أولئك اعتدنا لهم عذابا أليماً** إلى غير ذلك من الأحاديث التي خالفت قطعي القرآن وصريحه بل ولو ظاهره فإنها ترفض حتى ولو وردت في بعض كتب الصحاح لا قدحاً في أصحاب الصحاح أمثال البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث ممن أجمعت الأمة الاسلامية على إمامتهم في الحديث ـ **والاباضية ضمن ذلك يعملون بمروياتهم ما لم تصادم تلك النصوص القرآنية القطعية ـ فالاباضية لا يقدحون في أئمة**

الحديث في حد ذاتهم واشخاصهم وإنما أقل ما يقال في حقهم أنه دلس عليهم بها بعد طول أمد الرواية ولا مؤاخذة على العدل الثقة الامين إذا دلس عليه في شيءٍ فقبله فالمؤمن غر كريم ، وقد دلس على النبيء ﷺ وكاد ينطوي عليه التدليس لولا عصمة النبوة التي لا يتمتع بها غيره وذلك في قضية سرقة رداء صفوان بن أمية وقضية المرأة التي زوجت له فطلقها ليومها لعيب فيها وقال لقد دلستم علي ، وقضية المعذرين من المنافقين ومن ثم جاء وعيده : **من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** ، علماً منه عليه السلام أنه سيجيء قوم يكذبون عليه ويلبسون كذبهم على غيرهم فيضلوا ويضلوا فيبوؤن بإثمهم وإثم الذين أضلوهم بضلالتهم إلى يوم الدين - ومما يثبت امكانية التدليس على النبيء نفسه فضلا عن غيره قوله : **انما أنا بشر مثلكم وإنكم تختصمون لدي فلعل بعضكم أن يكون ألْحن بحجته من بعض فأحكم على نحو ما أسمع فمن حكمت له بحق أخيه فإنما هي قطعة من النار اقتطعها له إن شاء أخذها وإن شاء تركها** وقد ورد في مثل ذلك الأثر القائل : **من خدعنا بالله انخدعنا له** ، وما أكثر هذا النوع من الأغاليط في الاخبار قديما وحديثاً .

3 ـ الاباضية كغيرهم من سائر المذاهب الاسلامية يصنفون السنة الى أصناف ثلاثة لا رابع لها وهي :

1 ـ السنة القولية . 2 ـ والسنة الفعلية . 3 ـ والسنة التقريرية ولا وجود لما يزعمه بعض الدعاة أو الأدعياء من السنة التركية السلبية من أن كل مالم يفعله النبيء ﷺ حرم أو امتنع فعله وإن تركه وعدم فعله سنة ، فمثل هذا النوع لا وجود له ـ فيما أدرى ـ في شيء من المذاهب الإسلامية ولا في شيء من كتب السنة والحديث ومصطلحه لأنه فعلاً يتنافى ويتصادم مع صريح قوله عليه السلام **إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحرم أشياءً فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيانٍ فلا تسألوا عنها** . غير أن الاباضية ـ وكأني ببعض المذاهب مثلهم ـ في ترتيب تلك الاصناف يعطون الاولوية والرتبة الأولى للسنة القولية والرتبة الثانية للسنة الفعلية والمنزلة الثالثة للسنة التقريرية بحيث مهما تعارضت سنة قولية موجهة خطاباً الى الأمة أمراً أو نهيا مع سنة عملية بفعل فعله النبيء ﷺ إذا صح عنه ـ إلا وقدموا السنة القولية وتركوا العمل بالسنة الفعلية لما يطرقها من عدة احتمالاتٍ مثل الاختصاص ومجرد بيان الجواز **كما أنهم يتركون العمل بما زعمت نسبته من عمل الى النبيء ﷺ إذا**

كان مخالفا لروح ما شرع في ذلك العمل بنص أو ظاهر الكتاب والسنة القولية ، ومن ثم لم يقل الاباضية ولم يعملوا بأحاديث رفع اليدين في الصلاة كما لم يعمل بها الامام مالك ابن أنس امام دار الهجرة نفسه هو وتلميذه ابن القاسم بل وكرهاه كما حكى عنهما الامام القرطبي في تفسيره المشهور ـ أحكام القرآن ـ في المسألة الخامسة من تفسير قوله تعالى : فصل لربك وانحر من سورة الكوثر ، وما ذلك إلا لأن الرفع لم يثبت عن النبيء ﷺ ثبوتا صحيحا فعله كما بين القرطبي ، وإذا ثبت كما هو عند البعض فهو سنة عملية قد تكون منسوخة لأنها تتنافى وقوله تعالى وقوموا لله قانتين وتتنافى والسنة القولية التي ثبتت عند البعض من قوله عليه السلام : ما بال أقوام يرفعون أيديهم في الصلاة كأنها أذناب خيل شمس ، وتتنافى والخشوع الذي هو روح الصلاة وقد أُمر المسلمون أن يقوموا لله قانتين ، وكتب الفلاح بتحقيق للذين هم في صلاتهم خاشعون ، وخشوع القلب يستتبع خشوع الجوارح والعكس صحيح كما قال عليه السلام في الذي قال فيه : لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ، ولأنه لم يرد به أمر ولو أمر ارشادٍ للذي أساء صلاته وعلمه عليه السلام إياها وهو أشد ما يكون حاجةً إلى أن يعلمه ويعرفه

ويبين له كل ما من شأنه أن يجعل صلاته كاملة ، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة ، وليقل مثل ذلك **في ترك الاباضية التأمين آخر الفاتحة والتزامهم البسملة ولا بد في أولها لأن ذلك أوفق للقرآن والسنة نصاً ومعنىً** ، أما نصا فلانه لا وجود لكلمة آمين في القرآن لا بهذه الصيغة ولا بمادتها مطلقا لا وصفا ولا فعلا ولا مصدرا من أوله الى آخره بخلاف كل ما سواها من أفعال الصلاة من مفتتحها بالتوجيه الى اختتامها بالتسليم كلها مذكورة ومشار اليها في القرآن بمختلف الصيغ من الوصف والفعل والمصدر وعليه فكلمة آمين من كلام البشر وقد تكون دخيلة على العرب والمسلمين من كلام غيرهم ولا يصلح شيء من كلام البشر في الصلاة مما ليس له أصل في القرآن .

بينما البسملة التي رسمت في أول الفاتحة وغيرها من جميع سور القرآن ما عدا التوبة وتتضمن معنى التبرك بالله والاستعانة به على كل عملٍ إذ لا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون من الله كما لا حول لنا عن معاصي الله إلا بعصمته وأكدت السنة القولية ذلك بقوله عليه السلام **كل عمل خلا من البسملة فهو باطل وفي رواية كل عملٍ ذي بالٍ لا يبدا باسم الله فهو أبتر خداج ، ناقص ، باطل** ، لأن

شهادة أو رواية نفي قراءتها تهاتر اذ تحتمل عدة احتمالاتٍ ازاء من روى وسمع قرءاتها ولذلك **قدم الاباضية نص القرآن وروحه وروح السنة ونصها وشهادة أو رواية الاثبات على شهادة أو رواية النفي حسب القاعدة الاصولية المثبت مقدم على النافي** فأوجبوا البسملة إيجابا في الفاتحة في الصلاة بحيث تنتقض وتعاد بتركها إذ لا تجوز أي صلاة بدون الفاتحة كاملة .

4 ـ أما من حيث رواة السنة فالاباضية يصنفونهم الى أصنافٍ وطبقاتٍ ومراتب :

1 ـ الصحابة الذين ثبتت تزكيتهم وعدالتهم ثبوتاً قطعياً يقينيا من المهاجرين والانصار الذين تولاهم الله ولاية حقيقيةً بالتوبة عليهم والرضوان عنهم امثال البدريين واصحاب بيعة الرضوان والذين اتبعوا الرسول في ساعة العسرة فهؤلاء في نظر الاباضية عدول ثقات كلهم مقبولة روايتهم كلها مالم يثبت في حق أحدهم ما يخل بالضبط والتثبت والحفظ من غلبة نسيان أو سهوٍ أو ذهول إلا أنهم مع ذلك يصنفونهم إلى طبقاتٍ .

أ ـ الطبقة الأولى : المهاجرون والأنصار الذين توفاهم الله قبل الفتن فسلمهم الله منها وطهر منها أيديهم وألسنتهم ،

ب ـ الطبقة الثانية : من المهاجرين والانصار الذين بايعوا أئمتهم على الطريقة الشرعية الشورية فناصروهم عليها حتى قتلوا أو ماتوا أو تخلوا عنها

جـ ـ الطبقة الثالثة : من المهاجرين والأنصار الذين خرجوا في فترة من فترات حياتهم عن إمامٍ شرعي ثم تابوا وعلمت توبتهم وتقبلها عنها إمامهم وإخوانهم المسلمون .

د ـ الطبقة الرابعة : من المهاجرين والانصار الذين علمت ولايتهم بالحقيقة وزكاهم الله ورسوله بنصوص صحيحة قرآنية أو سنيةٍ ـ بأسمائهم أو صفاتهم ثم بدت وصدرت منهم بوادر مخالفاتٍ أو خروج عن إمامٍ شرعي عن اجتهادٍ قد يكونون مخطئين فيه ولكن لم يعلم رجوعهم ولا توبتهم . ففي مثل هؤلاء ورد قول النبيء ﷺ : **ما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم ، وفيهم قيل : لا تقع ذنوبهم إلا مغفورة ـ انظر تفسير الشيخ بيوض للآيات 8، 9، 10 من سورة الحشر** ، وذلك لأن ولاية الله ومحبته حقيقة يقينية ثابتة لا تتبدل ولا تتغير فحيث تولاّهم الله على علمه بما سيصدر منهم فلا بد أن يكون قد كتب لهم التوبة في الازل وقبولها منهم فمثل هؤلاء أيضاً تقبل روايتهم وأخبارهم وشهادتهم عند الاباضية مثل غيرهم .

تلك درجات أو طبقات الصنف الأول من الصحابة رضي الله عنهم .

2 ـ الصنف الثاني من الصحابة رضي الله عنهم **من لم تثبت في حقهم نصوص التزكية والولاية الحقيقية من توبة الله ومغفرته ورضوانه عليهم خاصة إذا كانوا من غير المهاجرين والانصار وبصفة أخص إذا كانوا من مسلمي الفتح والمؤلفة قلوبهم** وقد فرق الله بين الصنفين بالنص القرآني حيث قال : **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجةً من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلاً وعد الله الحسنى** ، فهؤلاء يحكم على مجموعهم بالعدالة الى ما دون وقبل الفتن أما بعدها فيصنفون بدورهم أصنافاً :

ا ـ الصنف الاول الذين اعتزلوا الفتن وجلسوا على الربوة ورأوها أسلم وقد اشتبه عليهم الأمر فاتقوا الشبهات **ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه** فهؤلاء تبقى عدالتهم فتقبل روايتهم .

ب ـ الصنف الثاني **من شارك عن اجتهادٍ في مناصرة الامام الشرعي القائم بأمور المسلمين وقد صحت إمامته عن طريق الشورى والبيعة الشرعية**

فقاتل حتى غلب أو غلب قبل أن يتخلى الإمام عن إمامته فمثل هذا لا مبرر لسلب عدالته أو رد روايته .

جـ ـ الصنف الثالث **من شارك في مناصرة من لا صفة شرعية له ضد من له كامل الصبغة الشرعية** ، ولا دافع له إلا طلب الدنيا ومتاعها من الجاه والمال أو السلطان فقاتل حتى قتل أو قُتل فمثل هذا مسلوب العدالة إذ باع آخرته بدنياه أو دنيا غيره حتى تثبت توبته ولذلك شروط .

د ـ الصنف الرابع **من كان مع الإمام الشرعي يقاتل معه مناصرةً للحق ووفاءً له بالبيعة ولكن استمر في القتال بعد عزل وانعزال الامام نفسه عن الإمامة الشرعية فاستأنف القتال غيرة وحميةً معه** فمثل هذا أيضا مسلوب العدالة ، وهذان الصنفان الأخيران لا تقبل رواياتهم عند الاباضية ما لم يرجعوا عن خطئهم ويراجعوا دينهم ويعلنوا توبتهم

3 ـ أما غير الصحابة من الرواة وهم التابعون الذين ولدوا او أسلموا بعد وفاة النبيء ﷺ وادركوا صحابته فهم خاضعون لكل موازين التعديل والتجريح بمختلف القوادح **وإن كان الأصل العام في المسلمين عند الاباضية التعديل أو العدالة ـ حتى يثبت العكس** فمن ثبتت عدالته وسلامته الدينية في عقيدته وزكا سلوكه ـ فعلا وتركاً ـ وسلم من

عيوب الرواية من سوء الحفظ أو كثرة الذهول أو غلبة السهو والنسيان بأن اشتهر بالحفظ والضبط لما يروي وينقل ، وسلم أيضا من مناصرة السلاطين على جورهم وظلمهم - قبل الاباضية روايته أمثال عكرمة مولى ابن عباس - ونافع مولى ابن عمر ، وسعيد بن جبير وابن المسيب ومجاهد والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم .

أما من ثبت فسقه في العقيدة كالمرجيئة والجبرية والدهريين أو فسقه في العمل كالحجاج والوليد ابن يزيد وأضرابهما من السفاكين أو فسقه بالكذب والتزوير كالسدى واضرابه أو ثبت عنه ممالأته للسلاطين والملوك على جورهم فمثل هؤلاء مسلوبوا العدالة عند الاباضية مرفوضة روايتهم وتقولهم للأحاديث .

أما ما يثبت وجود واعتبار هذه المقاييس عند الاباضية فإننا **قد لا نجد في ذلك نصوصا اصطلاحية في كتب الاباضية لأن المذهب - باعتباره أول المذاهب نشأةً - فقد تأصل ودوّن ما دوّن له من السنة قبل وجود أو وضع مصطلح الحديث وقبل اختلاط الغثّ بالسمين - إلا قليلا** - وعليه فلا نكاد نجد لاسلاف الإباضية الأولين

تصنيفا لمصطلح الحديث وشروط الرواية وتصنيف الرواة إلا ما نجده اليوم مبثوثا في كتب المتأخرين مثل طلعة الشمس - شرح شمس الأصول - قسم السنة منه - للشيخ السالمي العماني ، أو ما نجده من نبذة للشيخ قطب الأئمة الشيخ أطفيش في تذييل جامع الشمل في حديث خير الرسل وفي مقدمة وفاء الضمانة بأداء الأمانة في الحديث أيضا .

أما المرجع في وضع وتحديد تلك المقاييس والضوابط للرواة عند الإباضية فإنما هو قول الإمام الديني للمذهب الإمام ابن الشعثاء جابرْبن زيد أحد مواليد سنة 22هـ أو 23هـ آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه والمتوفى سنة 93هـ على أصح الأقوال قوله : **لقد ادركت اكثر من سبعين بدرياً فوعيت كل ما عندهم ما عدا البحر - ابن عباس - فكونه** ينقل ويروي عن هؤلاء السبعين كل ما عندهم دليل على **أنه يرى عدالتهم جميعا باعتبار وصفهم بالبدريين وفقا لتزكية النبيء ﷺ لهم بذلك** وذلك ما يثبته أيضا استقراء الجامع الصحيح للامام الربيع بن حبيب **المعتمد الأولوي - لا الوحيد - عند الاباضية** إذ نجد كلا من الامام جابر والامام ابي عبيدة مسلم ابن ابي كريمة يرويان على ما يزيد على سبعين صحابيا وفي مقدمتهم كل الخلفاء الراشدين الأربعة وأغلب المكثرين من

الرجال والنساء أمثال آنس بن مالك وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي هريرة وأبي أيوب الأنصاري وعائشة أم المؤمنين وأم سلمة وميمونة وبقية الأصحاب العشرة **وحتى معاوية وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم إذ روى عنهم جابر قبل ظهور الفتن واقتحامهم فيها** كما نجد الامام جابر صديقا حميما للحسن البصري حتى أنه كان آخر ما ومن اشتهى رؤيته عند احتضاره فأحضر له رغم عجزه **كما نجد الاباضية يعلنون رضاهم عن الخليفة الرشيد الخامس عمر ابن عبد العزيز لما تخلى عن ممالأته الظلم والظالمين من سلفه.كما نجد الإباضية من بعد الامام جابر يأخذون وينقلون عن غير جابر من التابعين وعن غير الربيع من المدونين أصحاب المجامع والصحاح ما لم يتصادم مع اصل من الأصول الآنفة الذكر** كما سبق أن مثلنا له وذلك اعتباراً بعدالتهم ومنزلتهم العلمية وبعدهم عن مظان الظلم ومجانبتهم للظلمة وبطاناتهم .

أما من حيث الرواية وطرقها وأساليبها وصيغها فالاباضية يصنفون الحديث - كغيرهم - بحسب طرق روايته باعتبار تعدد طرقه وكيفية روايته .

أ ـ أما من حيث تعدد طرقه فيتفقون والمذاهب الأخرى على تصنيف الحديث **إلى متواتر لفظي ومعنوي وهو ما يستحيل عادة أن يتواطأ رواته الكثر على الكذب ويثبتون به على قلته كل الأحكام العملية والعقائدية .**

ب ـ وإلى حديث مشهورٍ أو مستفيض الذي يشبه المتواتر من طرف ، ويشبه الأحادي من طرف آخر ـ فيلحقونه بالصنف ـ الاحادي

جـ ـ الثالث الحديث الأحادي الذي يقبلونه في خصوص الأحكام العملية دون العقائدية ، وينكرون على غيرهم اثبات العقائد القطعية اليقينية بالأحاديث الاحادية الظنية مثل القضايا الآنفة الذكر من **الشفاعة لذوي الكبائر ـ والرؤية للبارى ـ والخروج من النار .**

أما من حيث كيفية الرواية وصيغها فيتفقون أيضا مع بقية المذاهب ورجال الحديث على قبول الحديث إذا ورد وروي بصيغة **التحديث والإخبار والإعلام والإنباء والسماع ، سواء وردت بصيغة الفرد أو الجماعة ويعطون لذلك حكم الإتصال .**

أما بقية الصيغ في الرواية مثل الحديث **المعنعن والمؤنن وصيغة روى -وقول الراوي من السنة -** وغيرها من الصيغ المشتبهة **فالاباضية ينظرون في ذلك إلى الراوي الذي ينقل ذلك وقيمته العلمية ومقامه الديني فإن كان عالما فقيها خبيراً بفن الرواية نزيها في النقل بأن كان عدلا مبرزاً لا يمكن أن ينقل إلا عن مثله قبل منه ذلك الحديث وأعطى حكم الإتصال** ولا تضرهم صيغة عن أو لفظة - أن أو جهل الحلقة المفقودة إذا فقدت حلقة خاصة إذا كانت حلقةً واحدةً وكانت خلقة صحابي كبير أو حلقة صحابي صغير لا يروي إلا عن صحابي أكبر منه أو كانت حلقة تابعي كبير ، الشأن فيه أن لا يروي إلا عن الصحابة .

أما إذا كان المعنعن أو المؤنن أو حاكي الرواية أو السنية دون ذلك المقام المذكور فإنهم يتوقفون عن قبول حديثه حتى يبين الحلقة المفقودة ويثبت الاتصال بالمزامنه واللقاء خاصة إذا كانت الحلقة المفقودة متأخرةً من حلقات صغار التابعين أو تابعي التابعين ومن بعدهم .

أما عن الحديث المرسل فحكمه عند الاباضية حكم الراوي المرسل فإن كان صحابيا صغيراً مثل ابن عمر وابن عباس **أو تابعيا كبيراً** مثل جابر بن زيد

والحسن البصري وابن جبير ممن شأنه أن يروي عن كبار الصحابة **فمثل هذا يقبله الاباضية ويعملون به ويعطون له حكم الاتصال والاسناد** ثقة منهم بالمرسل وبالحلقة المفقودة . ولعل كثيرا من احاديث مسند الربيع من هذا النمط حتى قيل : **مراسيل جابر بن زيد أصح من مسانيده لأنه لا يرسل الحديث إلا إذا تعددت لديه طرقه بتعدد الصحابة الذين روى عنهم** فبدل أن يسوي بينهم بذكرهم جميعا فيطول السند بتعدد طرقه يسوي بينهم في الحذف من السند **اختصاراً واكتفاءً بعدالته وعدالتهم ونزاهته ونزاهتهم .**

أما الحديث الموقوف به عند الصحابي دون رفعه إلى الرسول عليه السلام فيعتبره الاباضية بحسب موضوعه شأنهم في ذلك شأن المذاهب الأخرى فإن كان موضوعه من المسائل التوقيفية التعبدية التي لاحظ للعقل ولا للنظر والإجتهاد فيها مثل العبادات والأخبار عن الغيبيات العقائدية مما لا سبيل إليه إلا الوحي أعطوه حكم الرفع إذ ينزه ويتنزه الصحابي أن يتقول على الله ورسوله بشيء من ذلك ، **أما إذا كان موضوعه قابلا للنظر والإجتهاد العقلي من بعض المسائل العملية الفرعية فإنه يوقف عن العمل به**

حتى يثبت رفعه من طريق آخر ، أو يؤخذ على جهة التقليد لذلك الصحابي إذا كان الآخذ مقلداً والموقوف عنده أهلاً لأن يقلد ويقتدى به مثل الخلفاء الراشدين أو الفقهاء المشهورين .

كما أن الاباضية لا يرفضون الزيادة إذا وردت من طرق صحيحةٍ مثل طرق أصل الحديث مالم تتعارض مع أصله ولم تعد عليه بالابطال أو لم تتعارض مع حديث آخر أصح منها سواء تعدد المجلس أو اتحد ، وجد داعى الغفلة أو لم يوجد فالعبرة بالراوي واكتمال شروط الرواية فيه ، ومن ثم قبلت الزيادة التي وردت على حديث عمرو بن حزم - في شأن الديات - فجاءت الزيادة التي تقول **إن دية المرأة نصف دية الرجل فقبلها جمهور بل كل المذاهب الاسلامية ما عدا بعض الشواذ ولا عبرة بالشاذ** وذلك عملاً بعدة قواعد وأصولٍ منها **جواز رواية بعض الحديث وترك بعضه ما لم يكن قيدا له والعمل بالدليلين أولى من إلغاء أحدهما ، واعمال أحد الدليلين أولى من إلغائهما .**

أما مقاييس الترجيح عند تعارض الدليلين عند الاباضية فمتعددة ، **منها علو السند** فمهما كان الحديث أعلى سنداً أي أقرب الى الرسول عليه السلام وأقل حلقاتٍ بين مدونه

ومصدره كان أولى وأجدر بالأخذ والاعتبار من غيره ، **ومن ثم اعتبروا الجامع الصحيح للامام الربيع بن حبيب أولى من كل ما سواه من كتب الحديث مادام أعلى سنداً من جميعها إذ أن كل مروياته من الأحاديث المصنفة فيه ثلاثية السند ولعل بعضها ثنائيها .** فإذا اعتبر موطأ الامام مالك ـ إمام دار الهجرة ـ اعلى كتب الحديث أو الفقه أو التفسير على اختلاف العلماء في تصنيفه ، وميزته علو سنده **لوجود بعض سلاسل ثلاثية في سنده تدعى بالسلاسل الذهبية وهي معدودة على الأصابع كما يقال رغم ما فيه كما قال الحافظ ابن حجر من الإحتجاج بالمرسل والمنقطع وما حكاه السيوطي في تقريبه نقلا عن ابن حزم كما نقل محمد عبد العزيز الخولي في كتابه مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث ـ إذا كان الموطأ مع ذلك ممتازا بعلو السند فان الجامع الصحيح للربيع بن حبيب أجدر بذلك الوصف وصف العلو في السند لأن كل حلقاته ثلاثية ومنها ما هي ثنائية لأن أبا عبيدة مسلم ابن أبي كريمة قد أدرك كثيراً من الصحابة ـ** مادام أكبر تلاميذ جابر بن زيد وخلفه في الرواية والتدريس وإمامة المذاهب بعد وفاة جابر الذي التحق بالرفيق الأعلى وآنس بن مالك رضي الله عنه خادم النبيء ﷺ على قيد

الحياة وقد أبنه لما بلغه نعيه بقوله **مات اليوم اعلم من على ظهر الأرض ، وهذا مما يثبت ثبوتا قطعيا أو قريبا من القطع أن أبا عبيدة - شيخ الربيع - يعتبر من التابعين فلا يكون بين الربيع صاحب الجامع وبين النبيء ﷺ سوى حلقتين** حلقة شيخه أبي عبيدة التابعي وحلقة الصحابي الذي قد يكون أدركه وروى عنه .

ومنها ترجيح أقوى الدليلين من حيث المتن أو السند ، أما المتن فيرجح الصريح على الكناية ، والحقيقة الشرعية على الحقيقة اللغوية والحقيقة على المجاز والمبين على المجمل ، والمقيد على المطلق والعام على الخاص والمنطوق على المفهوم والمثبت على النافي ومقتضى الحضر على مقتضى الاباحة والمؤسس على المؤكد . أما من حيث رجال السند فيقدم الحديث المشهور سنده برواته على ما كان رواته أقل منهم شهرة مثل رواية الفقيه على من دونه ورواية أكابر الصحابة على رواية الأصاغر ورواية القريب على رواية البعيد في المجلس من رسول الله عليه السلام ورواية المشافه على رواية من لم يشافه ، ورواية من عمل بروايته على رواية من ترك العمل بروايته نفسه - ورواية من كان مباشراً لسبب الحديث على رواية غيره والتمثيل لكل ذلك مما لا يسعه المقام.

الخاتمة : أيها الاخوة المؤمنون إننا إذ نقدم هذه العروض والبيانات المختصرة نستبين منها بعض جوانب العظمة في السنة المطهرة والهدي النبوي الشريف من أقواله وأفعاله وتقريراته المزكية لأمته ، **فإنه لا يجوز أن يكون المقصد من ذلك تزكية بعض رجال الحديث وإثارة الشبه في حق الآخرين ، ولا الأخذ ببعض كتب السنة وترك الآخر استغناء عنه أو قدحاً فيه .** وإنما يجب أن يكون المقصد المنشود والهدف الأسمى الذي نرمي **إليه هو بعث النخوة الإسلامية في نفوس المسلمين اليوم حتى يعتزوا بهذا التراث الاسلامي المقدس ويفخروا بما بذله أسلافهم الأمجاد في حفظه ونقله وتدوينه وتنقيحه** ـ مالم تبذله أية أمة من الأمم كما يعترف بذلك المستشرقون المنصفون ـ في حفظ كلام زعيم أو عظيم ولا نبي أو رسول ، بل ولا في حفظ ما أنزل إليها من كتب ربها التي استحفظوا عليها فلم يحفظوها وبتلك المجهودات **وصلت إلينا هذه السنة النبوية المحمدية نقية صافية طاهرة مطهرة ، فعلينا أن نسترجع ثقتنا بها ونحلها محلها المرموق من التشريع ونستقي منها كينبوع غزير من ينابيع الحكمة والتربية والتقنين والتشريع لكل من جوانب حياتنا الروحية الدينية والاجتماعية العائلية ، والاقتصادية**

الزراعية والصناعية والتجارية والعمالية والسياسية الحاكمة العادلة الشورية الديمقراطية والعسكرية الحربية والسلمية .

ولتتكاثف جهود المسلمين في مشارق البلاد الاسلامية ومغاربها على **جمع هذه السنة في موسوعات ومعاجم ودوائر معارف منظمة تنظيما محكما ومبوبة تبويبا فنيا معاصرا** يعين المتعلم والمعلم والباحث والدارس على بلوغ غايته بأسهل طرقٍ وأقل تكاليف ، **وتنقح من كل ما يبدو فيه شائبة الوضع مما يخالف الكتاب نصاً أو ظاهرا أو روحاً حتى تغدو مكملة له ومصدقة إياه بالبيان والتفسير الصحيح وتغدو سنة متبعةً واضحةً ليلها كنهارها لا يضل سالكها ، جامعة لشتات المسلمين غير مفرقةٍ مؤلفة بينهم لا منفرةٍ لهم بحيث تؤخذ بعين الاعتبار جميع الصحاح والمسانيد والمجامع بقطع النظر عن الملل والنحل والمذاهب والفرق الاسلامية مادام الكل يغرف من بحر النبوة ولا يصادم نصا صريحا ولا ظاهراً واضحاً ولا روحاً ولا مقصداً من مقاصد كلام الله رب العالمين .**

تعقيبات وردود

أخي القارئ : أضع بين يدي هذه التعقيبات والردود اصولا لا يجوز لمسلم أن يتخلى عنها وأصولا لا ينبغي للمسلم أن يتخلى عنها :

أما التي لا يجوز للمسلم أن يتخلى عنها فقوله تعالى : **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون** ، وقوله عز وجلّ ، **وأن هذه أمتكم أمة واحدة** . وقوله **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً** ، **وقوله إنما المؤمنون إخوة** ، وقول الرسول عليه السلام **كل مجتهد مصيب** ، **وقوله : من اجتهد فأصاب فله أجران** ، **ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد** ، وقوله المسلم أخو المسلم . وقوله الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها .

أما الأسس التي لا ينبغي للمسلم أن يتخلى عنها فقول كثير إن لم نقل كل ائمة المسلمين رضي الله عنهم أجمعين : **إذا صح الحديث فهو مذهبي** . وقول من قال منهم : **ما من عالم إلا وفي علمه مأخوذ ومتروك ما عدا صاحب هذا القبر** . وأشار إلى قبر الرسول عليه السلام .

وكذا قول وشعار الامام ابن باديس ، ورفاقه في جمعية العلماء . لما أرادوا القيام بهذه النهضة الاسلامية العربية الاصلاحية **تعاهدوا على أن يتعاونوا فيما اتفقوا عليه ويتسامحوا فيما اختلفوا فيه** . بناء على هذه الأسس نجيب على بعض الأسئلة والتساؤلات التي وجهها السيد مسير الندوة التي أقيمت حول المسانيد خاصة مسند الامام الربيع ابن حبيب ، اذ قيل عنه إنه أخذه عن شيخه أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة وقد كان مستخفيا يعلم تلاميذه سراً خوفا من اضطهاد الولاة الجورة . فقال السيد المسير : كيف يؤخذ عن إنسان مغمور ؟ فالجواب :

1 ـ إن انغمار العالم وتستره عن الولاة الجائرين لا ينقص من قيمته كعالم ، ولا ينقص مما يؤخذ عنه كعلم فهل أنقص السجن من قيمة الإمام السرخسي ، وهل أنقص انغماره في السجن من قيمة كتابه المبسوط كموسوعة علمية فقهية ومرجع معتبر لدى الآخذين به . فهل قيل فيه إنه مغمور مسجون مغضوب عليه فلا يؤخذ عنه علمه .

2 ـ قيل ان مسند الامام الربيع كان مغمورا . فالجواب ان المسند لم يكن مغموراً مادام قد أقيمت على أسسه وغيرة من الأسس دوله اسلامية تاريخية عظيمة ـ الدولة الرستمية ـ ذات حضارة اسلامية مشهورة وقد أقامت حكمها وتشريعها

على الكتاب وعلى السنة النبوية ومن مراجعها في ذلك مسند الامام الربيع .

3 ـ ماذا يضر كتابا ما إذا اشتهر عند طائفة من طوائف المسلمين وتلقته بالقبول والرضى وجهلته طائفة أخرى من الطوائف الاسلامية وآية ذلك أن كثيرا من الكتب المعتبرة لدى مذهب من المذاهب تجدها مجهولة لدى مذهب آخر وما أكثر هذا بين مختلف المذاهب .

4 ـ هب أنه كان مغموراً ثم اكتشف أفلا يكون هذا مدعاة للفخر أن أضيف إلى التراث الاسلامي كنز من أنفس كنوزه وذخائره.فبعد النظر فيه والتحقق منه ، وجد كل ما فيه موافقا للكتاب ولكتب الصحاح فإن ذلك يزيد في قيمته ولا ينقص منه تأخر معرفته واكتشافه.وآية ذلك ما سمعناه عن الدكتور حميد الله من اكتشاف وثائق نبوية قديمة لم يطلع عليها إلى الآن فهل ينقص هذا من قيمتها إذا صحت نسبتها إلى الرسول أو لعهد الرسالة . بل كلنا نعجب لذلك ونفخر به والا فما فائدة مجهودات المنظمات والأفراد والهيئات للبحث والكشف والتنقيب .

5 ـ القواعد الاصولية تقول : زيادة الثقة مقبولة اذا ثبتت صحتها ولا ترد بدعوى ان فلانا لم يروها إلا اذا قام دليل

الوهم والغفلة . وتقول أيضا من حفظ شيئا حجة على من لم يحفظ ، ويقال لمن لم يعلم شيئا علمت شيئا وغابت عنك أشياء ، وقال تعالى : **وفوق كل ذي علم عليم ، وقال وما أو تيتم من العلم إلا قليلا** ، ولذلك لا يستطيع أي عالم في الحديث وغيره أن يدعي أنه أحاط علماً بكل ما تعلق بذلك الفن حتى اذا جاءه غيره بشيء مما ليس عنده ـ جاز له رده ـ لو كانت هذه الدعوى صحيحة لكان على المالكيين أن يردوا كل ما جاء في غير الموطأ ولرد كل ما جاء بعد البخاري وبالتالي مابعده وبعد مسلم . وبصفة خاصة ما جاء بعد كتب الصحاح الست ومسند الامام أحمد . والواقع أنه قبلت كتب أخرى كثيرة جاءت فيما بعد مثل الجامعين الصغير والكبير ـ للسيوطي ـ وما جاء به الحاكم وابن حبان والدارمي وغيرهم . وما ذلك إلا لأن الأئمة الاعلام في السنة لم يدعوا ولا يمكن أن يدعوا أنهم أحاطوا بجميع ما نطق به النبيء ﷺ ومن جميع طرقه .

6 ـ قد يتساءل لماذا لم يشتهر مسند الامام الربيع ؟ ـ فزيادة على ما علل الاستاذ الشيخ ناصر مرموري ذلك بالعوامل السياسة ـ فهنالك عوامل أخرى يجب أن نكون صرحاء في ابدائها واعنى بذلك التقوقع الذي ابتليت به كل المذاهب الاسلامية حول نفسها وعدم تفتحها بعضها على بعض

وذلك على أثر النكسة التي أصابت المسلمين بسقوط الخلافة العباسية بالمشرق والدولة الأموية بالأندلس فتقوقع المسلمون حول أنفسهم وأغلقوا باب الاجتهاد وهذا ما نأسف له في تاريخ الاسلام والحياة الفكرية الاسلامية بل أغلق الباب حتى عن التوسع في نطاق المذهب الواحد لما ظهرت المختصرات مثل مختصر ابن الحاجب ومختصر خليل والكنز وغيرها من الكتب التي اصبحت مرجع الفتوى تحفظ عن ظهر قلب ولو من غير فهم ويحجر على الطلبة النظر في غيرها داخل المذهب خشية الخلط والضلال فضلا عن كتب غير المذهب .

7 ـ قد يقال لماذا لم يظهر الاباضية ما عندهم ؟ والجواب أن نقول بكل صراحة إن الاباضية ربما قصروا بعض التقصير في ابراز ما عندهم وكانوا بمثابة من كانت له جواهر أو بضائع نفيسة فأخفاها عن الناس فلا يبديها إلا لمن يدرك قيمتها ويقدرها قدرها فيسأل عنها حرصا عليها ورغبة فيها كما أن المذاهب ينقصها التفتح على بعضها واستفادة بعضها من بعض ولعل في هذه النقطة نقول بكل واقعية وتأكيد إن الاباضية أكثر المذاهب تفتحا على غيرها ويدرك هذا كل من اطلع على كتبهم أمثال : شرح النيل ، والذهب الخالص وشامل الأصل والفرع لقطب الأئمة الشيخ طفيش حيث يورد

أقوال أغلب المذاهب الاسلامية ويرجح ما يراه راجحا منها ولو ضد المذهب الاباضي نفسه .

8 ـ ربما كانت للمسند شروح وتخريجات وتراجم لرجاله في القرن الأول والثاني والثالث ولكنها أتلفتها النيران التي أتت على مكتبة المعصومه بتيهرت عند انقراض الدولة الرستمية هذا ما يمكن الجواب به على بعض تلك التساؤلات حول مسند الامام الربيع بن حبيب الفراهيدي .

أما ردودي على المعقبين على المحاضرة فشكراً لكل من عقب تعقيبا معينا عليها إلا أنني استسمح أن أقول لبعض المعقبين إنه لم يستمع باهتمام لكل ما قيل في الندوة كخلاصة للمحاضرة . وعليه فإن فاته حسن الاستماع فأرجو أن لا يفوته حسن القراءة للمحاضرة بعد نشرها وأرجو من إدارة الطبع انجاز ذلك في أقرب وقت وفيها الجواب على جميع التعقيبات بكل وضوح وبيان .

الا أن الشيء الذي آسفني في التعقيب هو قول القائل : لقد كنا نعلق اهتماما بالغاً بمثل هذا الملتقى وما سيسفر عنه من نتائج ، أما وقد اصبحنا نسمع فيه ما نسمع من محاضرات فإننا نرجو من إدارة الملتقى أن تعيد النظر في النطاق الذي تعقد فيه هذه الملتقيات ، فلا تعقد في نطاق عموم الشباب .

وإنما تخصص لها نطاقات ضيقة على مستويات عليا من العلم ، أو نعيد النظر في المحاضرات التي تلقى فيحذف منها ما لا يتناسب ونطاق الشباب ومداركهم .

عجبا وأسفا من هذا القول إنه ليس من الصواب في شيء أن إذا سمعنا شيئا ربما قد لا يعجبنا ـ أول الامر اذ لا عهد لنا به ولم نألفه أن نقول فيه كما قيل : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوافيه لعلكم تغلبون ـ لقد حرمت الجزائر طيلة قرون حرية القول ـ واليوم ـ وقد نعمنا بها والحمد لله افنحرم من حرية الاستماع ـ لا والله ليس هذا من الحكمة ولا من الصواب في شيء وإنما على القائل أن يقول ويحسن القول وليقل خيراً أو ليصمت ، وعلى السامع أن يحسن الاصغاء والسماع فيستمع القول ويتبع احسنه .

كما أنه في تعقيبه أنكر التفرقة بين ما تثبت به الاحكام العقائدية القطيعة اليقينية . وبين ما تثبت به الأحكام العملية وزعم أن السنة بكل أقسامها ومراتبها المتواتر منها والمشهور والاحادي صالحة لاثبات كل ذلك وهذا خطأ على كلا الاحتمالين .

فإن كان يريد أن يرفع قوة الأحكام العملية ودرجتها الى درجة العقائد فلا نثبتها ولا نعمل فيها الا بالادلة القطعية

من قرآن أو من سنة متواترة . فهذا خطأ وخطر إذ لو حاولنا هذا لقضينا على تسعة أعشار الاحكام العملية أو أكثر لأن معظمها من عهد النبوّة إلى الآن قد ثبت بالخبر الأحادي أو على الاكثر بالمشهور .

أما إذا كان يريد أن ينزل بالعقائد القطعية اليقينية إلى منزلة الأحكام العملية الظنية فيثبتها بالخبر الاحادي فهذا خطأ أيضا لأن الخبر الأحادي الصحيح لا يفيد إلا غلبة الظن بينما العقائد قطعية يقينية في اعلى مراتب المعرفة فهي فوق الحدس والتخمين والشك والظن المرجوح والظن الراجح والنظرية والقاعدة والقانون والحقيقة العلمية ـ بعد كل هذه المراتب وفوقها جميعا تأتي مرتبة العقائد لأن كل تلك الدرجات الآنفة الذكر قابلة للنقض والابطال والتبدل والتغير ـ ما عدا العقائد فهي غير قابلة لشيء من ذلك . ومن كانت عقائده في مستوى التردد وقابلية التبدل والتغير والنقض والابطال فإنه لما يصل بعد حقيقة الايمان وعليه فمثل ذلك العلم لا يمكن أن يحصل إلا عن طريق الدليل القطعي .

هذا واختم تحقيقي بكلمة أنقلها عن شيخنا الامام الراحل الشيخ الفاضل ابن عاشور وهو من هو في مقامه العلمي على مستوى العالم الاسلامي . وقد قال في محاضراته في تاريخ

الاديان والمذاهب والفرق الاسلامية لطلبة مدرسة الحقوق العليا بتونس ما نصه حرفيا مع تصرف :

ما من مذهب من المذاهب الاسلامية الخالدة المعمول بها اليوم إلا وقد استمد خلوده واستمراره من سلطة تدعمه وتسانده ، فالمذهب الحنفي قد استمد دعمه من الخلافة العباسية التي تبنته واعتبرته المذهب الرسمي لها فعين كبير تلاميذ أبي حنيفة أبو يوسف قاضي القضاة للدولة العباسية فكان لا يولي منصبا أو وظيفة من الوظائف الدينية من أذان وامامة وقضاء وجباية أو حسبة إلا من كان حنفيا على مذهبه وعلى كل من أراد أن يحصل على خطة دينية لدى الدولة فما عليه إلا أن يعتنق المذهب الحنفي ويتفقه فيه إلى حد الرسوخ ، ومن ثم انتشر المذهب الحنفي في كامل الاصقاع التي كانت تحت النفوذ العباسي . فكان اكثر المذاهب الاسلامية انتشارا وذيوعاً واتباعاً . ومن بعد سقوط الدولة العباسية تبنته وريثتها الدولة العثمانية التركية التي احتضنت معظم الأقطار الاسلامية واتخذت المذهب الحنفي مذهبا رسميا لها ودعمته بمجلتها وقد استمر وجودها إلى أوائل هذا القرن العشرين أي إلى حدود سنة 1923 وعنها تسرب هذا المذهب الحنفي الى المغرب العربي .

أما المذهب المالكي فقد ساندته الدولة الأموية بالاندلس ودعمته بأن اعتبرته مذهبها الرسمي كرد فعل ومنافسة للدولة العباسية ومذهبها فقلد يحي بن يحي الليثي احد كبار تلاميذ الامام مالك خطة الافتاء كما تبنته معظم الدول الاسلامية التي تأسست بالمغرب العربي من الدولة الاغلبية إلى الحفصية الى الزيانية والمرينية ، ولذلك كان المغرب العربي أوسع مجالات انتشار المذهب المالكي . أما المذهب الشيعي فقد دعمته وساندته الدولة العبيدية بالمغرب العربي وانتقل معها إلى مصر فزادته تدعيما بعد أن تسمت بالدولة الفاطمية واسست الجامع الأزهر الذي يشعر بقدسية هذه النسبة التي تغري بتبني هذا المذهب .

ثم تتبع بقية المذاهب الأخرى ، الشافعي والحنبلي والوهابي مبينا الدول والسلطات التي دعمتها وساندتها الى أن قال : « **ما عدا المذهب الاباضي فإنه منذ سقوط الدولة الاباضية الرستمية في أواخر القرن الثالث سنة 296هـ لم يجد هذا المذهب سلطة تدعمه وتحميه بل كانت كل الدول والسلط تطارده وتقاومه لأنه يخالفها في أصول حكمها القائم على الملكية الموروثة ملكا عضداً اذ المذهب الاباضي ينكر ذلك**

في أصول حكمه الشوري الديمقراطي . ولذلك انجحر واختفى عن مسرح الحياة ومع ذلك استمر بقاؤه الى اليوم ومعمولا به كأنصع مظهر للاسلام مستمداً خلوده من متانة أصوله ومرونة فروعه » .

بسم الله الرحمن الرحيم

« شبه تدحضها حقائق »

بعد انقضاء الملتقى السادس عشر للفكر الاسلامى المنعقد بمدينة تلمسان بالجزائر سنة 1982 حول موضوع السنة وكان من جملة أعماله الندوة المنعقدة حول المسانيد والكتب الصحاح المدونة في السنة ومن بينها مسند الامام الربيع ابن حبيب بن عمرو الفراهيدي وما جرى بشأنه من حوار علمي بناء . وبعد التوصيات التي انبثقت عن الملتقى ومن ضمنها التوصية باعتماد جميع كتب الحديث والسنة التي ثبتت صحتها لدى جميع المذاهب الاسلامية لتكاملها بعضها ببعض اذا بفضيلة الدكتور الشيخ خليل ابراهيم مولى خاطر استاذ بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة من المملكة العربية السعودية يكتب رسالة الى فضيلة الشيخ ناصر محمد مرموري . هذا نصها بعد الديباجة والمقدمة .

فضيلة الشيخ : اشكركم على اهتمامكم بوصول كتاب مسند الربيع إلي حيث وصلني من بعض الطلبة العمانيين في الجامعة الاسلامية كما وصلتني نسخة أخرى من عمان من مكتبة الاستقامة بعمان .

وقد قرأت الكتاب بتمعن وتدبر وتمحيص فتبين لي مما لاشك فيه ان الكتاب لم يكتب ولم يؤلف في القرن الثاني أو الثالث الهجريين ، وقد استخرجت عشرة أدلة على ذلك ، بل زاد الامر شدة عندما أقول بأن الكتاب مع الاسف ليس فيه حديث واحد متصل السند ولعلى اذكر لكم بعض الامور .

ان السند منقطع بين أبي عبيده وجابر بن زيد ، فوفاة جابر بن زيد سنة اثنين وتسعين ، بينما ولادة مسلم بن أبي كريمة سنة خمس وتسعين ، فأين التقيا ؟ ولذا لا يوجد في الكتاب كله ما يصرح فيه ابو عبيده بالتحديث والسماع .

ثم وجدت الربيع نفسه يروى عن أناس ولدوا بعده ، أو ماتوا بعده بأكثر من خمسين أو أربعين عاما ، بل زاد تعجبي أكثر عندما رأيت جابر بن زيد يروي عن أناس توفوا بعد المائتين بثلاثين او عشرين سنة فأين التقوا به أو التقى بهم .

ثم فيما يتعلق بالعقائد لمن عندهم خبرة في الموضوع وكتبت قبل ستة عشر عاماً في هذا الموضوع أنه يوجد فيه نصوص لم تعرف في العقائد الا في القرن الثالث او الرابع الهجريين . كما يضيف الى الصحابة الاوائل اموراً لم تعرف

ولم يزاولها أهل العلم الا في القرن الثالث أو الرابع . وذلك فيما يتعلق بتأويل آيات الصفات وغيرها .

أما من الناحية الحديثية ففيه الطامات . ان بعض الاحاديث الموجودة فيه مما اتفق أهل العلم بالحديث انها موضوعة ومكذوبة وان بعضاً منها مما هو ثابت عند أهل الحديث أنها لم تثبت إلا بطرق معينة أو عن صحابي معين ، ومع هذا توجد فيه من غير تلك الطرق او غير ذلك الصحابي . وقد حملني هذا الى جمع طرق بعض الاحاديث للتأكد من صحة ذلك فبان ما قلته والحمد لله . آخذ مثالا لذلك أول حديث فيه ، لكني لم اشرع في الكتابة ، وليس ذلك والحمد لله من شيمتي فبحثت عن ترجمة للربيع أو أبي عبيدة فيما عندي من كتب الرجال المطبوع والمخطوط سواء في الثقات أو الضعفاء أو الوضاعين ، فلم أعثر على ترجمة تغني .

ولما كان أهل مكة ادرى بشعابها وأنتم ان شاء الله فيما نحسبكم من اهل العلم والاطلاع خاصة فيما يتعلق بمذهبكم ولذا أرجو أن تعينوني وأنتم أهل ثقة إن شاء الله فيما يلي .

1 ـ هل توجد ترجمة للربيع وأبي عبيدة من كتب موثوقة معتمدة تبين سنة الولادة والوفاة ، والنشأة ، والطلب ، والعلم ، والثقة والضبط ... الخ

2 ـ ما مدى اعتماد الاباضية على هذا الكتاب

3 ـ باعتبار الوارجلاني هو الذي رتب الكتاب ومع هذا فان السالمي في شرحه يذكر عدم وجود نسختين متفقتين ، مما جعلهم يلفقون نسخة للطباعة حتى وصلت نسخة الشيخ طفيش وصححوا عليها فهل توجد عندكم ترجمة للشيخ الوارجلاني ، وما مدى اعتماده في ترتيب هذا الكتاب ، وهل ذكر ذلك في مصادر معتبرة .

4 ـ بالنسبة للمسند ، ماذا عندكم من معلومات عنه من الناحية الحديثية ، ثم لِمَ لمْ يظهر أثناء قيام الدولة الاباضية في المغرب . أما ما ذكره في شرح المسند عزالدين التنوخي فالرجل غير ثقة ، لانه ليس من أهل العلم بالحديث ، وإنما هو في اللغة العربية ، ولا اطلاع له على علوم الحديث بالشكل الكافي ، والا كيف يكتب التناقض هو بنفسه .

ارجو الاجابة وبشكل صريح وواضح ، مع توثيق كل نص حتى إن كتبت اعتمد على ما تذكرونه إن شاء الله .

كما أرجو ان يعلم فضيلة الشيخ أنه ليس قصدي الطعن أو التشهير لا والله ، وإنما هو الوصول الى الحق لا غير والا فان كتب الحديث المعتمدة عند المسلمين مليئة بالرواة عن الخوارج والشيعة والمعتزلة وغيرهم . وقد نص جمهور العلماء في الحديث والاصول والفقه وهو المعتمد عند المتأخرين ، أهل اصحاب الاهواء والبدع كما يسميهم أهل الحديث

روايـاتهم مقبولـة مـا لم تكن بـدعتهم مكفرة ، ومـا لم يكونوا يستجيزون الكذب في الحديث دعمـا لمـذهبهم ولعلكم سمعتم كلمتي في النـدوة في دعوتي لجمع كلمـة المسلمين والترفـع عن الخـلافـات المـذهبيـة فلست من المتعصبين والحمـد لله . ولكني من المعتدلين . وأما في المجـال العلمي فلا بـأس من المناقشة والمناظرة شريطة ألا تثير الضغائن والحقد .

وليعلم فضيلة الشيخ ان اخراج حـديث عن حـديث رسول الله ﷺ وادخال ما ليس فيـه سواء فلست فرحـاً عنـدمـا أنفي صحة هذا الكتاب عندما يكون صحيحا . ولست فرحاً عندمـا أثبته وليس هو صحيحا .

لذا لم اكتب شيئا ، بل حضرت مادة البحث مستوفـاة بين يدي انتظر ردكم ورد فضيلة مفتي عمان كما أرجو أن تعلموا أن الدافع الحقيقي انما هو الدفاع عن السنة النبويـة الشريفـة ليس غير . ولعـل ذلـك وضـح لكم اثنـاء وجـودي بينكم في تلمسان .

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فضيلة الشيخ الدكتور خليل ابراهيم مولى خاطر أراني الله وإياه الحق حقا ورزقنا اتباعه واتباع أهله وحبه وحب أهله وأراني الله وإياه الباطل باطلا ورزقنا اجتنابه واجتناب أهله وبغضه وبغض أهله وأجارنا أن يشتبه علينا أمر ديننا من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد .

فأذكركم فضيلة الشيخ ونفسي والذكرى تنفع المؤمنين :

1 ـ انما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون .

2 ـ كما يجب علينا ان نتذكر قوله تعالى تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون .

3 ـ أنه لا تزر وزارة وزر أخرى

4 ـ ان الله يعلم ما في نفوسنا ولا نعلم ما في نفسه .

5 ـ يقول عز وجل وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير .

6 ـ ان من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد .

7 ـ ان الله رفع عن أمة محمد ﷺ الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه .

8 ـ ان ما من عالم الا وفي علمه مأخوذ ومتروك ما عدا صاحب القبر ﷺ .

9 ـ أن فوق كل ذي علم عليم .

10 ـ أن ما اوتينا وما أوتيتم من العلم الا قليلا..

11 ـ قديما قيل علمت شيئا وغابت عنك أشياء

12 ـ ان الاصل في المسلمين العدالة والصدق فيما يروون أو ينقلون أو يشهدون به حتى يثبت عكسه او تجريحهم بمجرح .

13 ـ ان أبعد الناس عن الكذب والوضع في الاخبار من يعتقد ان الكذب عامه كبيرة وأكبر الكذب الكذب على الله ورسوله . وان الكبيرة تخلد صاحبها في النار. كما هو معتقد الاباضية .

14 ـ روي عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه .

15 ـ ان من علم شيئا حجة على من لم يعلم ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ومن سمع حجة على من لم يسمع .

16 ـ انه لم يدّع أحد ممن صنف في الحديث أنه استوعب جميع الاحاديث النبوية ، حتى يعتبر ما لم يأت به باطلا .

17 ـ انه لم يدّع أي أحد ممن صنف رجال الحديث وترجم لهم أنه استوعب كل رجل من رجال الحديث على وجه الارض ، حتى يعتبر كل من لم يأت في مصنفه مهدوراً من قائمة رجال الحديث .

أيها الشيخ الكريم : بناء على هذه القواعد التي وضعها الله ورسوله وخيار هذه الامة للحوار الاخوي الجاد البناء ، وللمجادلة الحسنة بين المسلمين وغيرهم ، استسمح فضيلتكم وفضيلة الشيخ الناصر مرموري وقد كاتبتموه برسالة فتفضل باطلاعنا عليها ، فأستسمحه وإياكم أن أجيبكم عنها بما نرجو ان يكون حقا وصوابا عند الله ثم عندنا وعندكم في حق الاسئلة بل الاستشكالات التي أو ردتموها على كتاب يعتبر من أقدم ـ إن لم يكن أقدم ـ ما كتب ودوّن وصنف في السنة النبوية الطاهرة ، بقطع النظر مبدئيا عن طريقة تصنيفه والاسم الاصطلاحي الذي اطلق عليه وذلك ان الكتاب الذي بين ايديكم ، وقد تفضل الشيخ الناصر بتزويدكم بنسخة منه

جزاه الله خيراً اطلق عليه اسمان اصطلاحيان متناقضان في نظركم ونظر الفنيين الخبراء بفنون الحديث . وهما اسم مسند الامام الربيع والجامع الصحيح للامام الربيع . والمسند والجامع اسمان متناقضان في المدلول الفني . اذ الشأن المعروف في المسند اصطلاحا ان ترتب احاديثه على حسب الرواة ، فيبدأ مثلا بمسند أبي بكر ، مسند عمر ، مسند عثمان ، مسند علي ، وهكذا على حسب ما يختار صاحب الكتاب من أساس للترتيب ، إما الهجرة أو البدرية أو الحديبية وغيرها من أصحاب الاحداث الهامه أو تاريخ الوفيات الاسبق فالاسبق أو على حسب الحروف الابجدية او حروف المعجم وهي أول الطرق اعتمادا في تصنيف الحديث بعد مرحلة الجمع الجملي . وذلك مالا تجدونه في النسخة المطبوعة من كتاب الربيع بين ايديكم ، وعليه فلم سمي مسنداً ؟

بينما المجاميع الصحاح كالجامع الصحيح للإمام البخاري ، ومثله للإمام مسلم وغيرهما فالشأن فيها اصطلاحا ان ترتب احاديثه على أساس كتب وأبواب العلم والاحكام ، مثل كتاب العلم ، باب بدء الوحي كتاب الصلاة ، باب مشروعية الصلاة ، وهكذا يتتبع كل الكتب والابواب الفقهية حسب توسع او اختصار صاحب الكتاب وحسب الاجمال

والتفصيل لتلك الكتب والابواب ولا يناقش في ذلك الا على أساس أن يأتي بحديث في باب لا يمت اليه بصلة وهذه الطريقة متأخرة في الوجود والاعتماد والتصنيف بمقتضاها في الحديث فلم اطلق على كتاب الربيع اسم الجامع مع أنه من أول - ان لم يكن أول - ما صنف في الحديث ؟

فالجواب والله اعلم : ان اسم المسند اطلق عليه باعتبار تاريخ تصنيفه من عهد الربيع اذ قد صنفه على اساس الرواة ولم يكن يعرف رجال الحديث ، آنذاك غيرها بقطع النظر عن أساس الترتيب فأطلق عليه اسم المسند ولكن - وأنتم أدرى بهذه الحقيقة العلمية - أن الاستفادة علمياً من المسانيد صعبة جداً لا يقوى عليها الا اولوا العزم والصبر من العلماء المريدين بحيث من أراد أن يستفيد مسألة فقهية في موضوع معين ، كالربا أو الزكاة مثلا ، فعليه ان يتتبع المسند من أوله الى آخره عسى ان يظفر ببغيته ، وليس للناس جميعا مثل ارادتكم - فضيلة الشيخ - أن يعتكف على تتبع كتاب من أوله إلى آخره في جلسة واحدة أو عدة جلسات ولذلك تيسيراً على طلبة العلم ورواد المعرفة الحريصين على الهداية بهدي نبيئهم ومعرفة أحكام دينهم عمد المرتب الامام أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني المتوفى سنة 570هـ الى اعادة ترتيب كتاب الربيع على أساس كتب العلم وأبواب الفقه المعروفة المصطلح على ترتيبها بداية من كتاب العلم

الى العقائد واصول الدين ثم العبادات ثم المعاملات وبعدها السير والاخلاق على حسب سعة المصنف وشموله أو اختصاره واقتصاره على بعض ما ذكر واطلق عليه بمقتضى ذلك الجامع الصحيح ، وبذلك يظهر وجه التناسب والتوافق بين الاطلاقين ـ فالاول ـ المسند باعتبار أول نشأته وتدوينه ، والثاني الجامع باعتبار بروزه واستقراره .

وقد يتساءل فضيلتكم عن الاصل الاول ، المسند الذي رتبه الربيع بنفسه وذلك فعلا ما لم نعثر له على أثر . وإليكم الجواب على لسان الاستاذ علي علي منصور في كلمة قالها وكتبها في مقدمة قدم بها الطبعة الثانية لكتاب شرح النيل قال فيها على الخصوص : « وإن كانت المكتبة الاسلامية قد هلك وسلب منها اكثر المؤلفات الا ان البقية الباقية فيها الغناء بما يكفي لكي نتيه على جميع التشريعات في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ان احسن عرضها وتبويبها .

اذ من المسلم ان البقية الباقية من كتب الفقه الاسلامي اما حبيسة في اقبية المكتبات في الآستانة وغيرها ، واما شبه معتقلة بدور الكتب الاخرى » اهـ الى آخر الفقرة .

واذا قيل هذا بالنسبة للمكتبة الاسلامية بصفة عامة ، فإنه يقال بصفة أخص بالنسبة للمكتبة الإباضية وما أحاط بها في جميع عصورها من مضايقة وما نالها من اكتساح ومصادرة

واحراق والى الآن ، ما دام هناك من ويحاول القضاء على البقية الباقية منها بأيدي الناس بشبه أوهى من خيط العنكبوت اذا عرضت على محك التاريخ الحقيقي الواقعي دون التاريخ المصطنع على اهواء الملوك والرؤساء والامراء الجورة القدامى والمحدثين . هذا جواب عن الشبهة الاولى وان لم تثيروها فضيلة الشيخ المحترم .

الشبهة الثانية قلتم ان في المسند احاديث رويت عن رجال من القرن الثالث والرابع بينما الربيع توفي حوالي سنة 170هـ فأين التقى معهم أو التقوا به .

الجواب : اذا اخذنا بعين الاعتبار مرتب الكتاب الشيخ أبا يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني المتوفي سنة 570هـ على أنه قام ازاء المسند بعملين : أولهما اعادة ترتيبه على أساس ابواب الفقه على غرار المجاميع الصحاح . ثانيهما قام ازاءه بعمل الامام الحاكم في مستدركه على الصحيحين ، فالامام ابو يعقوب استدرك على الامام الربيع بعضاً ان لم نقل كثيرا من الاحاديث التي ثبتت عنده صحتها اما عن طريق الربيع او عن طريق غير الربيع . عن مشائخه ابي عبيدة أو غيره كضمام بن السائب ، وابي نوح صالح الدهان ، أو أبي صفرة وغيرهم مما صح عنده سندها فأدرجها في الكتاب ليستكمل بذلك أبواب الفقه المطلوب إكمالها فيه

لإتمام النفع والفائدة وابلاغ الرسالة ونشر العلم وهذا يقتضي طبعا أن يذكر رجال سنده من شيوخه وشيوخ شيوخه ممن جاءوا بعد الربيع ما بين منتصف القرن الثاني وقرب نهاية القرن السادس . غير أنه بدل أن يفرد استدراكاته بتصنيف خاص ، أدرجها ضمن كتاب الربيع اعترافاً له بالفضل والجميل ، وانكاراً للذات ، واحتساباً للاجر عند الله وللآخرة خير وأبقى .

أما ادعاء ان جابر بن زيد روى عن رجال من القرن الثالث والرابع فذلك ما لم تذكروا له ولو مثالا واحداً ولن تجدوه . اللهم الا اذا كان عن تشابه في الاسماء وذلك كثير ، أن يتسمى انسان من قرن متأخر باسم انسان من قرن سابق ، ويشتهر اللاحق دون السابق ويلتبس على بعض المترجمين ، ولنا مثل في جابرنا هذا في المذهب فلا يكاد يذكر جابر عند الاباضية الا وينصرف الى جابر بن زيد بينما المحدث الاصيل عن النبيء ﷺ هو جابر بن عبد الله الانصاري .

الشبهة الثانية : قلتم انكم لم تجدوا في المسند من اوله الى آخره ان أبا عبيدة استعمل لفظ التحديث حدثني أو حدثنا ، او لفظ الاخبار أخبرني او اخبرنا ، أو الانباء أنبأني أو أنبأنا ، أو السماع سمعت ، مما تبين لكم ان أبا عبيدة لم يعاصر جابراً ولم يلتق به ، وليقل مثل ذلك في رواية الربيع

عن أبي عبيدة انه لم يلتق به ولا صلة بينهما ، وكذلك بالنسبة لجابر ومن روى عنهم من الصحابة وعائشة رضي الله عنهم . ولذلك قلتم انه ليس في الكتاب ولا حديث واحد صحيح السند متصل .

سيدي الشيخ : لقد تتبعت وتتبعوا أنتم ان شئتم معي الجامع الصحيح للامام البخاري ، والموطأ للامام مالك ، وهما أصح ما بين أيدي الناس من كتب الحديث عندكم ، فوجدت أنهما يوردان سند الحديث بالالفاظ الاصطلاحية التي أشرتم اليها من السماع ، والتحديث والاخبار والانباء ، من لدنهم كمدونين الى عصر التابعين فقط أما من التابعين الى النبيء ﷺ فيكتفون بمجرد العنعنة اكتفاء بنزاهة الرواة وصدقهم في التبليغ وتثبتهم في الرواية واليكم هذه الامثلة من ذلك من كتاب الموطأ الجزء الاول المطبعة المصرية سنة 1279هـ صحيفة 142 .

« افتتاح الصلاة » مالك عن ابن شهاب عن سالم ابن عبد الله عن عبد الله بن عمر ان النبي ﷺ الحديث وفي صحيفة 144 مالك عن ابن شهاب عن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب أنه قال كان رسول الله ﷺ الحديث . وعلي بن الحسين مات سنة ثلاث وتسعين وقيل فيه غير ذلك ، فهو لم يدرك جد أبيه لامه النبي ﷺ

فالحديث مرسل قطعا . وفي صحيفة 145 مالك عن يحي ابن سعيد عن سليمان بن يسار . (قال الشارح الزرقاني : أحد الفقهاء التابعين) ان رسول الله ﷺ... الحديث.... فالحديث مرسل قطعاً . وفي نفس الصحيفة 145 مالك عن ابن شهاب عن أبي مسلمة بن عبد الرحمان بن عوف ان أبا هريرة كان يصلي لهم.... فالحديث موقوف وفي صحيفة 146 مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله ان عبد الله ابن عمر كان يكبر في الصلاة كلما خفض ورفع فالحديث موقوف . هذا ما ورد من ارسال ووقوف وايصال مع العنعنة في باب واحد . ولننتقل الى اخر الجزء صحيفة 360 « الامر بالوضوء لمن مس القرآن » مالك عن عبد الله بن أبي بكر (بن محمد ابن عمرو) زاد الشارح الزرقاني ، بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم أن لا يمس القرآن الا طاهر . فالحديث كما ترون معنعن وهو ولا بد اما أن يكون مرسلا أو منقطعاً أو معضلا .

وفي صحيفة 361 « الرخصة في قراءة القرآن على غير وضوء » مالك عن أيوب بن أبي تميمة السختياني عن محمد ابن سيرين (قال الشارح . مات سنة عشر ومائة) أن عمر ابن الخطاب.... فالحديث معنعن وموقوف ومنقطع لان ابن سيرين لم يدرك عمر بن الخطاب اذ ولد سنة 33هـ وفي

نفس الصحيفة « ما جاء في تحزيب القرآن » مالك عن داود ابن الحصين عن الاعرج عن عبد الرحمن بن عبد (قال الشارح بلا إضافة اسم أبيه) القارّي ان عمر بن الخطاب ، قال من فاته... الحديث... فالحديث معنعن وموقوف ، ويبدو ان فيما استعرضنا من الاحاديث كفاية لتعطي لنا صورة عن أسلوب الرواية في عصر مالك ومن قبله اذ لم يكونوا يشترطون استعمال لفظ التحديث أو السماع او الاخبار أو الانباء لانها ألفاظ لم تكن معهودة عندهم من قبل وانما ابتكرت فيما بعد . ونعم ما ابتكره رجال مصطلح الحديث لما كثر الوضع والزور والافتراء فوضعت مقاييس القبول والرفض بالمعاصرة واللقاء والسماع والتحديث والاخبار فردا او جماعة أو بالمكاتبة والمناولة والبلاغ مما لم يكن يعرفه الاولون ولا هم بحاجة اليه .

واليكم مزيد أمثلة من الجامع الصحيح للبخاري . يتبين فيها الفرق بين أول السند وآخره لتباين الازمان والرجال - الجزء الاول - مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ميدان الازهر مصر صحيفة 26 باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع . حدثنا مسدد قال حدثنا بشر قال حدثنا ابن عون عن ابن سيرين عن عبد الرحمن ابن أبي بكرة عن أبيه ذكر النبي ﷺ قعد عن بعيره الحديث . صحيفة 27 باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا حدثنا

محمد بن يوسف قال اخبرنا سفيان عن الاعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال كان النبي ﷺ الحديث . وفي نفس الصحيفة باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة حدثنا عثمان ابن أبي شيبة قال حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل قال كان عبد الله يذكر الناس.... الحديث .

انتقل كما انتقلت صدفة الى صحيفة 146 من نفس الجزء فوجدت باب من صلى للناس جماعة بعد ذهاب الوقت : حدثنا معاذ بن فضالة قال حدثنا هشام عن يحي عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق الحديث.... والى صحيفة 185 من نفس الجزء باب ما جاء في السعي بين الصفا والمروة الخ... حدثنا محمد ابن عبد الله بن ميمون قال حدثنا عيسى بن يونس عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ الحديث . وحسبنا فضيلة الشيخ هذه النماذج من رواية البخاري وهو أصح جامع عند رجال الحديث ولا اخال طريقة البخاري الا واحدة من أول جامعه الى آخره ، يتبين لنا الفرق في طريقة السند والرواية بين أول السلسلة وآخرها اذ يروي الحديث من لدنه بطريق التحديث أو السماع أو الاخبار من شيخه المباشر ثم الذي قبله حتى اذا انتهى الى الحلقات الذهبية كما يعبر عنها .

والمؤلفة عادة من كبار التابعين وصغار الصحابة وكبارهم ـ حيث لا يتهمون في دين ولا ضبط ولا تحيز او انتماء لطائفة أو أخرى اذ لا وجود لها آنذاك ـ أثبتوا الحديث كما نقل عنهم بدون استعمال العبارات الاصطلاحية المستحدثة بعدهم وهذا من كمال الامانة العلمية في النقل . وحيث أن أحاديث كتاب الربيع كلها ثلاثية السند من ذوات السلاسل الذهبية الآنفة الذكر ، التي لا تحتاج الى ذكر التحديث أو السماع أو الاخبار فقد جاءت كلها بطريق واحد : أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس او عن عائشة ، أو عن ابن عمر أو عن أبي هريرة الى غيرهم من السبعين من الصحابة البدريين فضلا عمن سواهم ممن ادركهم جابر .

ونرجو الا يعزب عن ذهنكم كيف ضبط اسم « أبو عبيدة » هكذا مرفوعا في كل المسند مما يقتضي أن العامل المضمر يقدر فعلا فاعله أبو عبيدة ، فيكون المعنى أو المقدر حدثنا أو أخبرنا أو أنبأنا ولا يمكن تقدير غير ذلك من مثل عن ، أو ، أنّ ، وذلك ما صرح به في الاحاديث الاولى ، وهذا يفيد الاتصال قطعا .

أما اذا قلتم ان رجال السند في البخاري قد ثبتت معاصرة بعضهم للبعض ، بل اتصال والتقاء بعضهم ببعض وفق شروط البخاري ، قلنا : وأيضا ثبت مثل ذلك أو أوثق بين الربيع

وأبي عبيدة وبين أبي عبيدة وجابر . وبين جابر وابن عباس وعائشة وأضرابهما قلت إن صلة هؤلاء بعضهم ببعض ولقاء بعضهم البعض اوثق لانها صلة تتلمذ واختصاص وتخرج من مدرسة معينة ومزاملة وملازمة لسنوات عديدة لا مجرد رواية ينقلها الواحد عن الآخر بعد رحلة أو لقاء عابر هنا أو هناك ، وذلك التخرج وتلك الزمالة والصحبة وتلك الملازمة الطويلة مما اثبتته كل كتب السير التي كتبت عن أولئك الرجال وان كنتم لم تطلعوا على شيء منها فقد نعذركم وقد لا نعذركم لان من جهل الشيء عاداه . والجهل لا يكون عذراً عند الله ولا عند الناس . فلو كلّفتم أنفسكم عناء البحث والتنقيب في المظان المعتبرة عند ذويها لوجدتم الكفاية والغنية . واليكم هذا المثال للتوضيح والبيان :

انكم ان أردتم ان تتعرفوا الى الحالة المدنية والعدلية لفضيلة الشيخ ناصر المرموري ومقامه ، أو فضيلة مفتي سلطنة عمان وفضله أو فضيلة الشيخ بيوض والقطب طفيش ، فانكم لن تجدوا شيئا من ذلك مطلقا في سجلات أو أراشيف المملكة العربية السعودية ـ مثلا ـ ولكنكم اذا سألتم عن الشيخ أحمد الخليلي في عمان ، وعن الشيخ بيوض أو الطفيش ، أو الثميني أو المرموري في الجزائر وفي الجنوب خاصة تملككم العجب العجاب مما تسمعون عنهم ، ومثل ذلك لو أردنا ان نعرف شيئا عن ترجمة فضيلة الشيخ خليل ابراهيم

مولى خاطر ، هنا في الجزائر قبل سنة أو سنتين فإننا سوف لا نجد له أثراً يذكر اللهم الا في مصالح الأمن وشرطة الحدود عند الجمارك لتسجيل الدخول والخروج ، وإلا في وثائق الملتقى السادس عشر للفكر الاسلامي او الذي قبله وقد شارك فيه بحديث أو محاضرة ، بينما لو سألنا عنه الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة أو جامعة محمد بن سعود بالرياض فربما قد نهال بما نسمع عنه في الفضل والعلم وغيره ، وليقس على هذا معرفتنا ومعرفتكم برجال العلم في كل مذهب ـ ائمته وحماته ـ فإنه لا يعرفهم عادة الا اصحاب المذهب خاصة في عصور الانغلاق والمضايقات بالمتابعة والسجن لائمة المذاهب ورؤوس الحركات المناوئة للظلم والطغيان ، وعليه فأرجوكم ان كنتم حريصين على المعرفة والعلم والتحقيق ، ذودا عن السنة المطهرة أن يتقول عليها ما ليس منها ، أو ان يحذف منها ما هو منها فأرجوكم الرجوع الى المصادر التالية :

1 كتاب السير	ابو العباس احمد ابن سعيد الشماخي	مطبوع
2 كتاب الطبقات	ابو العباس احمد ابن سعيد الدرجيني	مطبوع

3	سلم العامة والمبتدئين الى معرفة أئمة الدين	عبد الله بن يحيى الباروني	مطبوع
4	الازهار الرياضية في تاريخ الأئمة الاباضية	سليمان بن عبد الله بن يحيى الباروني	مطبوع
5	كشف الغمة الجامع لاخبار الامة	سرحان بن سعيد الازكوي	مخطوط مترجم
6	السيرة واخبار الائمة	أبو زكرياء يحيى ابن ابي بكر الوارجلاني	مطبوع
7	انساب العرب	مسلمة بن مسلم العوتبي	مطبوع
8	الجواهر المنتقاة	أبو القاسم بن ابراهيم البرادي	مطبوع

9	رسالة في تقييد أصحابنا	أبو القاسم بن ابراهيم البرادي	مطبوع
10	سير الوسياني	أبو الربيع بن عبد السلام الوسياني	مخطوط
11	الكشف والبيان	أبو سعيد محمد بن سعيد الازدي القلهاني	مطبوع
12	كتاب جوابات جابر بن زيد	في المكتبة البارونية حربة تونس	مخطوط
13	رسالة في أحكام الزكاة	أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة	دار الكتب المصرية
14	مقدمة على شرح عقيدة التوحيد	الشيخ القطب امحمد ابن يوسف اطفيش	مطبوع
15	كنز الاريب وسلافة اللبيب	للصائغي	مطبوع
16	المدونة الكبرى	أبو غانم الخرساني	مطبوع

17	كتاب الاباضية بالجريد	صالح باجية تونس	مطبوع
18	الاباضية في موكب التاريخ	علي يحيى معمر	مطبوع
19	الاباضية بين الفرق الاسلامية	علي يحيى معمر	مطبوع
20	تاريخ المغرب العربي الكبير	محمد علي دبوز	مطبوع
21	تحفة الاعيان	الشيخ نور الدين السالمي	مطبوع
22	العقود الفضية في الاصول الاباضية	سالم بن حمد الحارثي	مطبوع
23	اللمعة المرضية	نور الدين السالمي	مطبوع
24	تلقين الصبيان	نور الدين السالمي	مطبوع

25	شرح الجامع الصحيح	نور الدين السالمي	مطبوع
26	ازالة الوعثاء عن اتباع ابي الشعثاء	سالم بن حمود السيابي	مطبوع
27	شرائع الدين	ابو سلام اللواتي	مخطوط

وكل هذه المصادر تثبت المعاصرة والتتلمذ بين الربيع وابي عبيدة وبين أبي عبيدة وجابر وبين جابر والصحابة .

ومن المصادر الغيرة الاباضية نذكر كمثال ـ لا حصراً لها ـ الاعلام للزركلي ، والطبقات لابن سعد ولسان الميزان ، وانساب الاشراف للبلاذري وفتوح البلدان وغيرها ، من سلسلة كتب التاريخ والدراسات الحديثة لكثير من الدارسين ، العرب والمستشرقين انظروا في كل ذلك كتاب نشأة الحركة الاباضية للدكتور عوض خليفات ، وكذا رسالة الاباضية في الواقع الاسلامي لميلود أحمد الفساطوي ليبيا والحركة الاباضية في المشرق العربي لمهدى طالب هاشم ، وكلها دراسات درست على مستوى الجامعات ودرست دراسات معمقة وكلها تثبت ان الربيع تلميذ لابي عبيدة مسلم ، وابو عبيدة تلميذ لجابر وجابر تلميذ لما لا يحصى من الصحابة ،

ولعل هذا كاف في الجواب عن توقفكم ، وأرجو ان تكونوا مقتنعين بثبوت الصلة الوثيقة معاصرة والتقاء بينهم ، واذا ثبت ذلك زال عنكم كل التباس .

أما جوابكم عن الحديث الأول في المسند : نية المؤمن خير من عمله والاعمال بالنيات وروايته عن ابن عباس ، بينما بقية الصحاح وكتب السنة روته عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقط فاليكم الجواب بعد أن نستمع الى كل من كلام الامام الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري والامام الشيخ نور الدين السالمي في شرحه على الجامع الصحيح للربيع قال الحافظ ابن حجر في الفتح ما نصه :

ثم ان هذا الحديث متفق على صحته أخرجه الائمة المشهورون إلا الموطأ ووهم من زعم أنه في الموطأ مغترا بتخريج الشيخين له والنسائي عن طريق مالك وقال أبو جعفر الطبري قد يكون هذا الحديث على طريقة بعض الناس مردوداً لكونه فرداً لأنه لا يروى عن عمر الا من رواية علقمة ، ولا عن علقمة الا من رواية محمد بن ابراهيم ولا عن محمد بن ابراهم الا من رواية يحيى بن سعيد وهو كما قال : فإنه انما اشتهر عن يحيى بن سعيد وتفرد به من فوقه ، وبذلك جزم الترمذي والنسائي والبزار وابن السكن وحمزة بن محمد الكناني ؛ وأطلق الخطابي نفي الخلاف بين

أهل الحديث في أنه لا يعرف الا بهذا الاسناد ، وهو كما قال لكن بقيدين : أحدهما الصحة لأنه ورد من طرق معلولة ذكرها الدارقطني وأبو القاسم بن منده وغيرهما . ثانيهما السياق لأنه ورد في معناه عدة أحاديث صحت في مطلق النية : كحديث عائشة وأم سلمة عند مسلم . يبعثون على نياتهم وحديث ابن عباس : لكن جهاد ونية ، وحديث أبي موسى : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله متفق عليهما ، وحديث ابن مسعود رب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته أخرجه أحمد ، وحديث عبادة من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى اخرجه النسائي الى غير ذلك مما يتعسر حصره ، وعرف بهذا التقرير غلط من زعم أن حديث عمر متواتر ، الا ان حمل على التواتر المعنوي فيحمل ، نعم قد تواتر عن يحيى بن سعيد فحكى محمد ابن علي بن سعيد النقاش الحافظ أنه رواه عن يحيى مائتان وخمسون نفسا . وسرد أسماءهم أبو القاسم بن منده فجاوز الثلاثمائة وروى أبو موسى المديني عن بعض مشائخه مذاكرة عن الحافظ أبي اسماعيل الانصاري الهروي : قال كتبته من حديث سبعمائة من أصحاب يحيى قلت (أي ابن حجر) وأنا استبعد صحة هذا فقد تتبعت طرقه من الروايات المشهورة والاجزاء المنثورة منذ طلبت الحديث الى وقتي هذا فما قدرت على تكميل المائة . وقد تتبعت طرق غيره فزادت

على ما نقل عمن تقدم كما سيأتي مثال لذلك في الكلام على حديث ابن عمر في غسل الجمعة ان شاء الله تعالى - اهـ انتهى نص الحافظ ابن حجر من الفتح .

أما كلام الشيخ السالمي فقال : «وحديث الاعمال بالنيات لم يثبت عن ابن عباس الا عند الربيع في هذا الطريق وكفى به حجة وقد رواه ائمة الحديث من قومنا من طريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقط حتى قال أبو بكر البزار لا نعلم روي هذا الكلام الا عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ بهذا الاسناد ، وقال الخطابي لا أعلم خلافا بين أهل الحديث في أنه لم يصح مسنداً عن النبي ﷺ الا من رواية عمر لكن قال الحسيني : وقد روى هذا الحديث من غير طريق عمر بن الخطاب فرواه أبو سعيد الخدري ، وابو هريرة وآنس بن مالك ، وعلي بن أبي طالب ، ثم ذكر من خرجه ومن رواه عنهم وأشار الى بعضهم بالوهم وبعضهم بالغرابة وبعضهم بالتضعيف وعلى كل حال فالحديث مجمع على صحته مستفيض بين الأمة اهـ هذا ما قاله السالمي .

أيها الشيخ الكريم : ماذا ترون في هذين الكلامين عن أولئك الائمة الاعلام ؟ هل الاحسن أن نفوض الأمر الى الله مكتفين بصحة الحديث قطعا بقطع النظر عن رواته وألفاظه وصيغه وعباراته والكل حجه شاف كاف ؟ أم تريدون ان

نتصدى للنقد الفني لفظا ومعنى حتى نتبين الاوفق فالاوفق من تلك الاقوال ؟ ان كان ولا بد وقد الجأتمونا لذلك فاستمعوا .

1 ـ لنسلم جدلا ان الراوي الوحيد لذلك الحديث هو عمر رضي الله عنه وان السياق الذي ذكر فيه الحديث كما يشير اليه صلب الحديث ومناسبة التحديث وهو الهجرة وخاصة هجرة مهاجر أم قيس وكان ابن عباس آنذاك صبيا لم يحضر المناسبة بنفسه وإنما سمعه بعد كبره من عمر . وكل ما في الامر ان ابن عباس وقد حدث جابر بن زيد تلميذه الخالص بدل ان يذكر له عمر بن الخطاب اثناء تحديثه اياه عن النية وبيان أهميتها في قبول أو رفض عمل المؤمن... لم يذكر عمر . فرفع الحديث منه مباشرة الى الرسول ﷺ فهل في ذلك منقصة من قيمة صحة الحديث سندا أو متنا؟ يبدو أن لا. لانه قصارى أنه مرسل صحابي وأن الحلقة المفقودة صحابي كبير فأي مسلم يؤمن بالله ورسوله وعدالة الصحابة خاصة كبارهم وأخص العشرة المبشرين بالجنة وبصفة أكثر خصوصية الخلفاء الراشدين الاربعة . وأكثر تخصيصا العمرين . الصديق والفاروق أنهما ان لم يذكرا في سند الحديث وقد علم حقا وجودهما فيه . أي مسلم يقول ان ذلك

الحديث يغمز فيه أو يطعن فيه بما يقتضي عدم أخذه أو روايته كل ذلك اذا سلمنا ان النبي ﷺ لم يعد التحديث به مرة اخرى قط .

2 ـ كيف يتصور في حديث قال فيه رجال العلم بالحديث والفقه ما قالوا مما حكاه ابن حجر ايضا في الفتح بنصه اذ قال : وقد تواتر النقل عن الائمة في تعظيم قدر هذا الحديث ، قال أبو عبد الله (وكأني به البخاري نفسه) ليس في اخبار النبي ﷺ شيء أجمع وأغنى وأكثر فائدة من هذا الحديث ، واتفق عبد الرحمن بن مهدي والشافعي فيما نقله البويطي عنه ، وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني وأبو داود والترمذي والدارقطني وحمزة الكناني على أنه ثلث الاسلام . ومنهم من قال ربعه واختلفوا في تعيين الباقي ، وقال ابن مهدي أيضا يدخل في ثلاثين باباً من العلم وقال الشافعي يدخل في سبعين باباً..... وقال عبد الرحمن بن مهدي أيضا ينبغي أن نجعل هذا الحديث رأس كل باب وقال الامام أحمد : القواعد الثلاث التي ترد اليها جميع الاحكام هي : 1 ـ هذا الحديث الاعمال بالنيات . 2 ـ حديث من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد . 3 ـ حديث الحلال بين والحرام بين إهـ انتهى كلام ابن حجر . كيف يمكن في حديث هذا شأنه ومقامه وقيمته وعظمته في التشريع وفي حياة المسلم وعمله لدينه ودنياه أن لا يحفظه ولا ينقله ولا

يرويه الا واحد في الامة الاسلامية طيلة أجيال من عصر النبوة حتى عصر يحيى بن سعيد فيقبل عليه وعلى رواية حديثه مائة ، ومائتان وخمسون ، وثلاثمائة وسبعمائة ؟ الا يقف العاقل البصير ازاء هذا وقفة تساؤل وتثبت ؟ ما الذي جعل الصحابة وتابعيهم وتابعي تابعيهم يزهدون في رواية ونقل هذا الحديث ؟ وما الذي جعل تلاميذ أو معاصري يحي بن سعيد يتهافتون عليه لرواية نفس الحديث ؟ أم ننسب التقصير ـ حاشاه ـ الى الرسول عليه السلام أن يكون قد آثر به عمر فقط ، وكأنه غير مسؤول على تزكية نفوس أصحابه وتصحيح نواياهم لتقبل أعمالهم ؟ أم التقصير والاثرة منسوبان لعمر فآثر به علقمة وهذا بدوره آثر به محمد ابن ابراهيم وآثر محمد بن ابراهيم تلميذه يحيى بن سعيد وفي هذا الاخير تجلى خلق الايثار واذاعة العلم ونشره فصدع بما عنده لكافة الناس ؟

واذا أضفنا الى كل ذلك ان عمر تحدث بحديثه على المنبر يوم الجمعة والمسجد غاص بالناس فكيف يمكن أن لا يعقل أحد من الحاضرين هذا الحديث من كلام عمر وهم احرص ما يكونون على رواية وحفظ احاديث رسولهم وسنته عليه الصلاة والسلام ، فما فائدة خطبة عمر اذن فيهم ، وكيف يتعقلون كلامه ، ويروونه لمن فاته اذا لم يحفظوا عنه وينقلوا حديث رسول الله ؟ ان هذا لشيء عجيب !..

بناء على كل ما سبق يبدو ان الصواب والله أعلم ، ما قاله الحسيني والسالمي ، وان هذا الحديث قد روي من غير طريق عمر بن الخطاب فرواه أبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة وآنس بن مالك وعلي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهم . يبقى التعليل لاولئك بالوهم في البعض والغرابة في البعض والتضعيف في البعض الآخر فتلك مقاييس اعتبارية نسبية تختلف بحسب نظرة المصنف وموازينه التي قد يدخل فيها بعض شروط مثقلة او غير متفق على اعتبارها كما هو الشأن في الاحاديث التي ترك البخاري روايتها فرواها غيره مثل مسلم مثلا ، وليقس على ذلك غيره .

فضيلة الشيخ : ارجو بعد هذا ان تسترجعوا الثقة في نفوسكم - ان شئتم - وان الجامع الصحيح للامام الربيع بن حبيب الفراهيدي قد كتب في النصف الاول من القرن الثاني ولا يمكن تحديد سنة معينة لذلك لان المجاميع والمسانيد والصحاح لا تجمع في يوم ولا شهر ولا في عام واحد وانما تجمع في أعوام ان لم نقل في أجيال وان أبا عبيدة مسلم ابن أبي كريمة كان سجين الحجاج ولم يطلق سراحه الا بعد وفاته سنة 95هـ . فاذا كنتم تعنون ان اطلاق سراحه من السجن بمثابة ولادته من جديد أو تعتبروا ذلك ميلادا أو بعثا لحركته العلمية على غرار ما قيل في البحر : الداخل فيه مفقود والخارج منه مولود : فلكم ذلك ولا تقولن اذن كيف

التقى بجابر وقد توفي سنة 93هـ وابو عبيدة سجين فأبو عبيدة لم يحكم عليه بالسجن منذ ولادته حوالي 59هـ ولعل مما زاد استاذه جابراً مضايقة اختطاف أعز تلاميذه منه مع ملاحظة ما عسى ولعل أن يتسرب الوهم للمطبعة ان قرأتم شيئا مطبوعا ، أو اليكم فوهمتم فقلبتم الرقمين 59 الى 95 فتأملوا رحمكم الله ، والا اين وجدتم تاريخ ميلاد أبي عبيدة سنة 95هـ ؟

قلتم وجدتم ان الربيع يروي عن أناس ولدوا بعده أو ماتوا بعده باكثر من خمسين او أربعين عاماً . هلا ذكرتم ولو مثالا واحداً ! على ان كلامكم فيه التباس واضطراب فان كانت ولادتهم بعده أي بعد ولادته بأن كانوا اصغر منه ، فلا مانع من رواية الاكابر عن الاصاغر وكذا اذا كانت وفاتهم بعد وفاته بأربعين سنة أما اذا كان المراد أنهم ولدوا بعد وفاته وروى عنهم أو رووا عنه فعليكم بمثال لذلك وأظنكم لا تجدونه ، اللهم الا فيما عسى ان يكون استدراكا لابي يعقوب المرتب كما سبق ان أشرت دون أن يميزه .

أما اشتداد تعجبكم من رواية جابر بن زيد عن أناس توفوا بعد المائتين بثلاثين أو عشرين سنة فدعوى لا وجود لها ولا دليل عليها اللهم الا أن يكون بعض مشائخه قد عمروا طويلا كما عمر سلمان الفارسي رضي الله عنه مائتين وخمسين

سنة أو تزيد كما يذكر له المؤرخون وان كنت لا أقول ولا أظن شيئا من ذلك في بعض شيوخ جابر من الصحابة أو التابعين .

أما استشكالكم ما ورد في صحيح الربيع من الحديث عن المسائل العقائدية التي لم تعرف الا في القرن الثالث أو الرابع الهجريين ، فمثله في ذلك مثل ما ورد في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من الصحاح من أحاديث الرؤية والشفاعة والخلود والايمان والكفر والقضاء والقدر الى آخره....

فاما ان تكون هذه المسائل من خصوصيات القرنين الثالث والرابع وما بعدهما فتكون نسبتها بواسطة احاديث الى الرسول عليه السلام زوراً وبهتانا وكذبا وافتراء ووضعا ، وذلك طعن في ائمة الحديث وصحاحهم ونحاشيهم . وأما ان تكون فعلا وردت عن النبي ﷺ فتكون معروفة لدى الصحابة والتابعين على بساطتها وسهولتها فيكون الربيع صادقا فيما روى من ذلك وهو أحق وأصدق من يروي ذلك لقربه من الصحابة رضي الله عنهم ، والنبي ﷺ وعليه فلا وجه للاعتراض والامر اليكم فانظروا ما ترون ، مع ملاحظة : دائما الاضافات التي أضافها الامام أبو يعقوب المرتب من مستدركاته لاتمام الصحيح وقد عاش بعد الربيع بقرون .

ما هي هذه الطامات الحديثية الموجودة فيه هلا ضربتم مثلا واحداً لحديث واحد اتفق عليه أهل الحديث انه موضوع فوجد تموه في الربيع ؟ وما أبريء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء ، وهبه وجد فيه شيء من ذلك ـ وان كنت لا أظنه ـ فهل يقضي الحديث الواحد او الحديثان على الف حديث وأزيد . فنحكم ببطلان الجميع ؟ ـ كلا ـ والا فاحاديث خروج أهل النار من النار موضوعة مكذوبة . بدليل صريح القرآن بعكسها وكذا احاديث فناء النار وأهلها ، أو تناهي عذابها ومع ذلك نجدها في كتب الصحاح فلم نحكم ببطلان كل الصحاح وانما أبطلنا تلك الاحاديث الباطلة فقط ، ولم نتهم صاحب الصحيح في دينه ولا علمه ولا نزاهته أو عدالته وانما قصارى قولنا فيه إنه بشر وانه دلس عليه وعلى من قبله بها كما دلس على النبيء في بعض وقائع والمؤمن غر كريم .

أما قولكم انكم بحثتم عن ترجمة للربيع وابي عبيدة فيما عندكم من كتب الرجال المطبوع والمخطوط سواء في الثقات او الضعفاء او الوضاعين فلم تعثروا لهما على ترجمة تغنى فالجواب :

1 ـ الحمد لله انكم قلتم بحثتم فيما عندكم من كتب الرجال ولم تقولوا في كل كتب الرجال ولا ادري نسبة ما

عندكم مما ليس عندكم من كتب الرجال والتراجم المؤلفة في المكتبة الاسلامية والعربية وغيرهما .

2 ـ يستشف من قولكم لم تعثروا على ترجمة تغنى أنكم عثرتم على بعض الشيء ولكن لم يغنكم ولا غضاضة في ذلك على الذي كتب اذ كل ما في الامر أنه كتب ما انتهى اليه علمه وما على طالب المزيد الا ان يبحث في مراجع اخرى وقولكم انكم لم تجدوهما في الثقات او الضعفاء او الوضاعين . أما لو أنكم وجدتموهما في الضعفاء او الوضاعين لكان لقولكم نصيب من الاعتبار ، ولكانت لنا معكم وقفة لتحقيق ذلك أو تفنيده على ضوء المقاييس المعتبرة لدى المحققين . أما ولم تجدوهما في ذلك فالقاعدة العامة لدى الاصوليين المحققين الحريصين على وحدة الامة الاسلامية : ان الاصل في المسلمين جميعا العدالة والمروءة وقبول الشهادة والرواية حتى يثبت ما يخالف أو يناقض ذلك ، وحيث لم يثبت في حق الرجلين شيء مما ذكر فهما على الشروط الكاملة للرواية من اسلام وعدالة ومروءة وثقة وضبط وفقه وقدم راسخة في التحديث وفق تحديث الصحابة عن رسول الله ﷺ . أما أنكم لم تجدوهما في الثقات فيما بين أيديكم من كتب الرجال فنرجو أنكم تجدونهما في كل أو

معظم الكتب التي بعثنا اليكم فيها بقائمة طويلة اباضية وغير اباضية ، واسلامية وغير اسلامية فاختاروا منها ما شئتم واعتمدوه .

أما تساؤلاتكم التالية والجواب عنها فإليكموه .

1 ـ هل توجد ترجمة للربيع وأبي عبيدة من كتب موثوقة معتمدة الى آخره .

الجواب : ما حد الثقة التي تطلبونها وحد الاعتماد الذي تريدونه . فان كان الاباضية وقد تعرفتم الى اواخرهم ورأيتم سلوكهم واستقامتهم وما هم الا بقية باقية ضئيلة كما وكيفا من اسلافهم ، واذا درستم اصولهم فارتضيتموهم ثقات فيما يقولون ويكتبون فدونكم كتب رجالهم وقد ترجموا تراجم ضافية لأئمتهم خاصة الاولين منهم : جابرا ، وأبا عبيدة ، والربيع وان رأيتم الاباضية غير ذلك واستطعتم ان تعلنوه على الملا ، وان الاباضية ليسوا في شيء من الامة الاسلامية ولا من العدالة أو الثقة أو الصدق أو الضبط في شيء ، فلا يعتمد ما يقولون ، ولا يعول على ما يكتبون فلم المكاتبة الينا اذن ؟ فاعلنوا ما شئتم اعلانه والحكم بيننا وبينكم الله أحكم الحاكمين وكذا الامر بالنسبة لمن ترجم لهم من غير الاباضية مثل الزركلي وأضرابه فان وثقتم بهم فقد ترجموا للرجلين . وان لم تثقوا بهم فلتتساءلوا اذن عن كل من ترجم لهم اولئك المؤرخون للرجال .

2 ـ أما السؤال الثاني : ما مدى اعتماد الاباضية على هذا الكتاب ؟

فالجواب : ان هذا الكتاب هو المعتمد الاولوي ـ وليس الوحيد ـ للاباضية في الحديث فهم يعتمدون كل ما فيه مع تصرف في فهم أو تأويل بعض الاحاديث المجملة فيه ولا يطعنون في شيء منه قط بالوضع أو الوهم او الضعف . ثم يعتمدون غيره من كتب الحديث خاصة الصحاح الست . وقد درس الامام الشيخ بيوض رحمه الله صحيح البخاري بفتح الباري فيما يزيد على خمسة عشر سنة من الدروس اليومية التي يزيد الدرس فيها على عدة ساعات . وقد ختمه في مهرجان علمي عظيم أقيم له في اواسط الاربعينات من هذا القرن بمدينة القرارة جنوب الجزائر على غرار أو ما يقرب من مهرجان القرآن الذي أقيم له بنفس المدينة لمناسبة ختم تفسير القرآن بعد نيف وأربعين سنة غير ان اعتماد الاباضية لتلك الكتب السنية الستة وغيرها يتم ويعتبر في اطار الكتاب أي فيما لا يتعارض مع نص القرآن صريحه او ظاهره أو روحه .

3 ـ أما تساؤلكم عن المرتب الوارجلاني : ابي يعقوب يوسف بن ابراهيم وترجمته فتجدونها أيضا في كل أو معظم الكتب التي افدناكم بقائمتها . وتجدونها أيضا في كثير من كتب تاريخ الجزائر وأعلامها ، لانه كان عالماً فذاً من أعلام

الجزائر وأعيانها أيام دولة الحماديين والمرابطين ، وانظروا ان شئتم الاستعجال تاريخ الجزائر العام الجزء الاول للشيخ عبد الرحمن الجيلالي المؤرخ الجزائري المشهور والفقيه والمفتي في آن واحد طبعة 1953 الجزء الاول صفحة 356 .

4 ـ أما عن تعذر أو صعوبة وجود نسختين متفقتين وتلفيق نسخة للطباعة حتى وصلت نسخة الشيخ طفيش وصححوا عليها فالجواب ما سبق ان قرأتموه من كلام علي علي منصور فيما نقل لكم من مقدمته على طباعة كتاب شرح النيل ، على أن المهم أنه وجدت نسخة لدى الشيخ اطفيش وكفى به فاحصا وناقداً وحافظا لها ولغيرها من النفائس والنوادر ولذلك سورع الى طبعها .

5 ـ أما مدى اعتماده في ترتيب هذا الكتاب ، فحيث أنه هو المرتب الاول له على طريقة الصحاح وأنه لم يسبق الى ترتيبه فلا سند له في ذلك الا ان يكون ـ كما يبدو ـ قد اقتدى وتأسى بترتيب البخاري فيما اتفقا على روايته كما يشير اليه تسلسل الابواب غالبا بداية من باب النية الى باب بدء الوحي باب العلم باب الطهارة باب الصلاة الخ... وان كان ذلك كذلك فنعمت الاسوة والفضل للمبتدي وقد أحسن المقتدي .

6 ـ أما تساؤلكم عن معلوماتنا عن المسند من الناحية التحديثية فالجواب : اولا انكم لم تحددوا بالضبط مرادكم من السؤال ، ثانيا معلوماتنا عليه من الناحية التحديثية أنه أصح كتاب في الحديث فيما ندري ونعتقد رغم وجود كثير من المراسيل فيه فذلك لا يقدح فيه ، لانه قيل مراسيل جابر أصح وأقوى وأوصل من مسانيده لانه غالباً ما لا يرسل الحديث فيحذف اسم الصحابي من السند ، الا اذا تعدد الصحابة الذين روى عنهم وبدل ان يذكرهم جميعا فيطول بذلك السند فانه يحذفهم جميعا ويكتفي بارسال الحديث الى الرسول ﷺ وقد حصل له من القطع واليقين بصحة الحديث حتى كأنه قد سمعه من الرسول مباشرة ، هذا معنى قول العارفين بالمسند ان مراسيله أصح من مسانيده على أن الارسال قد رأيتم وقوعه في أغلب كتب الصحاح ولم ينقص ذلك من قيمتها واليكم البيان

فعن الموطأ قال الحافظ ابن حجر ان كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما .

قال ابن عبد البر في تصنيف احاديث الموطأ وايصال ما فيه من المرسل والمنقطع والمعضل ، قال : وجميع ما فيه من قوله بلغني ، ومن قوله عن الثقة عنده ، مما لم يسنده واحد

وستون حديثاً . قال كلها مسندة من غير طريق مالك ، وصنف أبو بكر الابهري الموطأ فقال جملة ما في الموطأ من الآثار عن النبي ﷺ حوالي 1760 حديثاً ، والمسند منها 600 ، والمرسل 258 ، والموقوف 613 ، ومن قول التابعين 285 ، وقال السيوطي في تقريبه نقلا عن ابن حزم : احصيت ما في الموطأ لمالك ، وما في حديث سفيان ابن عيينة فوجدت في كل واحد منهما من المسند خمسمائة ونيفا مسندة . وثلاثمائة مرسلة وفيه نيف وسبعون حديثا قد ترك مالك نفسه العمل بها وفيها احاديث ضعيفة وهّاها جمهور العلماء اهـ من كتاب مفتاح السنة او تاريخ فنون الحديث ، محمد عبد العزيز الخولي .

أما عن مسند الامام احمد بن حنبل امام المحدثين كما يقال عنه ويعتبر مسنده من أجل اصول السنة فقد امتدح مسنده باحتوائه على ثلاثمائة حديث ثلاثية السند من بين أربعين ألف حديث « **وهذه مكرمة يتصف بها كل احاديث مسند الربيع بل منها ما هو ثنائي السند لان أبا عبيدة ادرك الصحابة قطعا والشك في الربيع ان يكون قد أدرك بعض المعمرين من الصحابة مثل آنس بن مالك رضي الله عنه** » أما تقييم بقية أحاديث مسند الامام أحمد فقد روى أبو موسى المديني عن الامام أحمد أنه سئل عن حديث فقال : انظروه فان كان في

المسند والا فليس بحجة . كأن الامام يرى صحة كل ما ساقه في مسنده لكن عبارته ليست صريحة في ان كل ما فيه حجة وانما هي صريحة في ان ما ليس فيه ليس بحجة لكن ثم احاديث مخرجة في الصحيحين وليست فيه والحق أن الكتاب فيه كثير من الأحاديث الضعيفة بل ذكر ابن الجوزي في موضوعاته خمسة عشر حديثا من المسند لاحت له فيها سمة الوضع . وذكر الحافظ العراقي تسعة وقال العلامة ابن تيمية في كتاب منهاج السنة ، شرط أحمد في المسند ان لا يروي عن المعروفين بالكذب عنده (وهذا قدر مشترك بين الجميع) وان كان في ذلك (مسنده) ما هو ضعيف .

ثم زاد ابن أحمد زيادات على المسند ضمت اليه (قلت كما فعل أبو يعقوب مع مسند الربيع) وكذلك زاد أبو بكر القطيعي ، وفي تلك الزيادات كثير من الاحاديث الموضوعة فظن من لا علم عنده ان ذلك من رواية أحمد في مسنده اهـ نفس المرجع السابق .

أما عن الجامع الصحيح للامام البخاري البالغ أعلى ذروة في الصحة عند المحدثين نظرا لشروطه التي اشترطها لقبول الحديث من المعاصرة ووجوب اللقاء والاتصال فقد قال ابن حجر : ان عدّة ما فيه من الاحاديث بالمكرر 7397 سوى المعلقات والمتابعات والموقوفات . وبغير المكرر من المتون

الموصولة 2602 ومن المتون المعلقة المرفوعة التي لم يصلها في موضع آخر منه 159 حديثا فمجموع غير المكرر 2761 وفيه من المعلقات 1341 حديثا لا يذكر لها الامام سندا منه الى النبي ﷺ . وفيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات 344 حديثاً .

قال صاحب الكتاب ولم يذكر عدد الموقوفات على الصحابة والمقطوعات الواردة عن التابعين فمن بعدهم فجملة ما فيه بالمكرر سوى الموقوف والمقطوع 9082 وقد انتقده الحفاظ في عشرة احاديث ومائة 110 منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو 32 ، ومنها ما تفرد بتخريجه وهو 78 قال الدارقطني اخرج البخاري حديث محمد بن طلحة عن أبيه عن مصعب بن سعد قال رأي سعد أن له فضلا على من دونه ، فقال النبي ﷺ هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم وهذا حديث مرسل : فاسمعوا فضيلة الشيخ جواب ابن حجر عليه قال ابن حجر : صورته صورة المرسل الا أنه موصول في الاصل معروف من رواية مصعب بن سعد عن أبيه وقد اعتمد البخاري كثيرا من أمثال هذا السياق ، فأخرجه على أنه موصول اذا كان الراوي معروفا بالرواية عمن ذكره وقد ضعف الحفاظ من رجال الجامع للبخاري نحو الثمانين فاسمعوا فضيلة الشيخ الجواب عنه قال : ولكن أكثرهم من شيوخه

الـذين لقيهم وجـالسهم وعرف احـوالهم واطلـع على احـاديثهم وميز صحيحهـا من ضعيفهـا . فهو بهم وبـأحـوالهم أعرف وبهم أخبر اهـ .

فضيلـة الشيـخ ، لعلّي اكتفى بهـذا وأقتصر على هـذه النماذج الثلاث من كتب السنة البالغة أعلى درجـة وقمـة في تقدير أهل الحديث ومع ذلك سمعتم مـا قيل أو ورد فيهـا من مراسيل وموقوفات ومنقطعات ومعضلات بل وموضوعـات ومع ذلك لم يقدح في صحة الموطأ ونسبته للامـام مـالـك ولا في صحة المسند ونسبته الى الامام أحمد . ولا في صحـة الجـامع الصحيح ونسبته للامام البخاري ولم نبطل الاعتماد على تلـك الكتب الامهات بل ولم ننقص من قيمتهـا شيئـا يـذكر . وقـد رأيتم التعليـلات والتخريجـات وهي عين التعليـلات والتخريجـات التي عللنـا بهـا مراسيـل الامـام الربيـع أو موقوفاته . ولا نظن فيه موضوعات ، وكذلك زيـادات الامـام أبي يعقوب .

فصـدقوا فضيلـة الشيخ أولا تصـدقوا أننـا كتبنـا لكم تلـك التخريجات والتعليلات والاجوبة عن مسند الامـام الربيع قبل ان نطلع على تلـك التخريجـات والتعليـلات لتلـك الأمهـات فللـه الحمـد على تـوافـق آراء ذوي النـوايـا الطيبـة والظنـون الحسنـة في اخـوانهم المسلمين وائمتهم وأسـلافهم من الاولين

والآخرين امتثالا لقوله عليه السلام . احتمل لأخيك سبعين باباً ، ولقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، وهذا جوابنا عن معلوماتنا وتقييمنا للمسند من الناحية التحديثية .

أما قولكم لِمَ لم يظهر المسند اثناء الدولة الاباضية في المغرب وتعنون طبعاً الدولة الرستمية فالجواب نحيلكم فيه الى أبي عبد الله الشيعي الصنعاني وإمامه عبيد الله المهدي وما فعلاه بالمكتبة المعصومة بتيهرت وقد أتت عليها النيران احراقا متعمداً فلم تبق ولم تذر شيئا منها ولذلك لا نستطيع ان نثبت أنه لم يشتهر عندها بل المتوقع غير ذلك ما دام الربيع أقرب إمام حديث لديهم ولما تؤلف المسانيد ولا المجامع الاخرى حتى يستغنوا بها عنه .

أما قولكم عن عز الدين التنوخي وما كتبه في مقدمته على طبعة شرح الجامع الصحيح فنرجو أن نترفع عن تنقص الناس والحط من قيم الرجال ، فدونكم وإياه تستطيعون مكاتبته ان كان مازال حيا - وان كانت اشيعت عندنا وفاته- فيجيبكم بنفسه عن نفسه وتناقضه ان كان فيما كتب تناقض ، وان كنت لم أدركه ولم تذكروه ومن جوابه لكم تتبينون قدرته أو عجزه ووفرة بضاعته العلمية او قلتها في الحديث او في التاريخ او غيرهما .

وبعد فضيلة الشيخ المحترم بعد هذا الحوار العلمي البناء المدعم بالادلة من المراجع والنصوص وأقوال جهابذة علماء الحديث المبرزين الذين يعتبرون أئمة في الحديث لنا ولكم ولكافة الامة الاسلامية نرجو ان يكون قد حصل لكم علم قطعي وان لم يكن قطعيا فظني راجح - ونحن في مسألة عملية لا عقائدية - يكفي أن تدرجوا وتعتبروا الجامع الصحيح أو المسند للامام الربيع بن حبيب الفراهيدي ، من ضمن كتب الحديث التي يجب أن يعتمد لدى الأمة الاسلامية كافة لقرب منزلته من النبي ﷺ وصحابته اذ هو اعلى سنداً من كل كتاب سواه فيما ندري ويكون اطلاعكم عليه كشفا أو كنزا علميا جديداً - على قدمه - اطلعتم عليه وظفرتم به وبذلك تكونون قد خدمتم السنة ، كما ترجون ونرجو جميعاً ، خدمة تحتسبون بذلك الاجر وحسن المثوبة عند الله والا فلا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغني ، ولتكن لنا ولكم اسوة حسنة بالامام مالك وقد قال له أبو جعفر أو الرشيد : أردت ان أعلق كتابك هذا في الكعبة وأفرقه في الآفاق وأحمل الناس على العمل به حسماً لمادة الخلاف : فقال له مالك : لا تفعل فإن الصحابة تفرقوا في الآفاق ، ورووا أحاديث غير أحاديث أهل الحجاز التي اعتمدتها وأخذ الناس بذلك ، فاتركهم على ما هم عليه فقال له : جزاك الله خيراً يا أبا عبد الله ، فلتكن لنا ولكم اسوة حسنة في اولئك

الائمة ونترك الناس وما درجوا عليه من اعتماد ائمة وكتب نالت ثقتهم واقتناعهم بإمامتهم في الدين والورع والزهد ، وفي العلم بالكتاب والسنة ، وما بين أيديهم من أحاديث مدونة صحيحة صحة لا يدانيها غيرها ولا يشوبها الا بعض ما شاب بقية الصحاح ، ما دام محتواها لا يخالف أصل الشريعة والملة : القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ولنتعاون بعد ذلك ـ بمقتضى ما حملنا الله من مسؤولية في الامة ومن أمانة الهداية والارشاد وأمانة الدعوة والنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ـ لنتعاون على ارجاع البشرية الضالة الى الجادة بمحاربة الشرور والآفات الاجتماعية الدينية والخلقية والاقتصادية على اختلاف أشكالها وألوانها ، على ان لا تأخذنا في الله لومة لائم غير متملقين ولا متزلفين معلنين بقول الله عز وجل: ﴿وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾.

وأخيراً أختم حديثي هذا معكم بقوله تعالى : « **ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه**

ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم » . « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون » .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين .

والحمد لله رب العالمين

المراجع

القرآن 9

1 ـ المصحف الشريف
2 ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن
3 ـ مناهل العرفان في علوم القرآن
4 ـ الاتقان في علوم القرآن
5 ـ مباحث في علوم القرآن
6 ـ التفسير والمفسرون
7 ـ التحرير والتنوير (مقدمات)
8 ـ تفسير الكشاف
9 ـ التفسير الكبير
10 ـ تفسير البيضاوي
11 ـ تفسير ابى السعود
12 ـ تفسير ابن جرير الطبري
13 ـ تفسير ابن كثير
14 ـ تفسير ابن عباس
15 ـ تفسير المنار
16 ـ في ظلال القرآن
17 ـ تفاسير القطب الشيخ اطفيش
18 ـ تفسير الشيخ بيوض في رحاب القرآن
19 ـ كتب السير والطبقات
20 ـ الازهار الرياضية في تاريخ الاباضية .

السنــة

1 ـ القرآن الكريم
2 ـ جملة تفاسير
3 ـ مقدمة ابن الصلاح
4 ـ مقدمة ابن حجر على فتح الباري
5 ـ مباحث في علوم الحديث لصبر الصالح
6 ـ جملة من كتب أصول الفقه (قسم السنة)
7 ـ طلعة شمس الاصول للشيخ السالمي
8 ـ جامع الشمل في حديث خير الرسل : للشيخ طفيش
9 ـ وفاء الضمانة باداء الامانة لقطب الائمة الشيخ طفيش
10 ـ محاضرات عن تاريخ الاديان والمذاهب والفرق الاسلامية للشيخ الفاضل ابن عاشور محفوظ بتلخيص صاحب الكتاب حرفيا .

المواضيع

القرآن 9
1 ـ القرآن كما وصفه صاحبه محمد رسول الله عليه السلام
2 ـ اثر القرآن في الامة الاسلامية
3 ـ فضل القرآن على الامة واللغة العربية
4 ـ عناية السلف والخلف من المسلمين بالقرآن وعلومه .
5 ـ تفاضل العلوم ومنزلة التفسير منها
6 ـ خطورة التفسير وأهميته
7 ـ موقف الصحابة وعلماء السلف من التفسير
8 ـ مدارس التفسير ثلاثة
أ ـ التفسير بالرواية والنقل والآثار
ب ـ التفسير بالدراية والعقل والنظر
جـ ـ المدرسة الازدواجية الحديثة المعاصرة
09 ـ أئمة المدرسة الاولى ـ محاسنها مآخذها
10 ـ أئمة المدرسة الثانية ـ محاسنها ومآخذها
11 ـ محاسن المدرسة الحديثة المعاصرة وبعض أئمتها
12 ـ هل كان للاباضية تفسير ؟
1 ـ الامام الديني للاباضية : جابر بن زيد
2 ـ بعض من اشتهر عبر التاريخ من مفسري الاباضية .
3 ـ قطب الائمة الشيخ اطفيش وتفاسيره
4 ـ إمام الاباضية المعاصر الشيخ بيوض وتفسيره
13 ـ شروط التأهل للتفسير
14 ـ اعتراض وجواب
15 ـ تذكرة وارشاد وتوصيات

السنـــة 55

1 ـ الافتتاحية والمدخل
2 ـ أصول وأسس البحث في السنة سنة
3 ـ منزلة القرآن من التشريع
4 ـ مرتبة السنة في التشريع ازاء القرآن
5 ـ علاقة السنة بالقرآن
6 ـ كتابة القرآن وحفظه دون السنة
7 ـ رواية السنة ونقلها وتفاوت الصحابة فيها
8 ـ عوارض السنة من النسيان والوضع
9 ـ مقاييس نقد سند السنة ومتنها
10 ـ موقف الاباضية من السنة الصحيحة ومقاييسهم
11 ـ مراتب السنة القولية والفعلية والتقريرية
12 ـ لا وجود للسنة التركية
13 ـ توافق الامام مالك وابن القاسم مع الاباضية في كراهية رفع الايدي في الصلاة
14 ـ مراتب رواة السنة عند الاباضية
ا ـ الصحابة المنعم عليهم بولاية الحقيقة
ب ـ عامة الصحابة وتصنيفهم
جـ ـ غير الصحابة من التابعين ومن جاء بعدهم

15 ـ الاباضية يرون الاصل في المسلمين العدالة
16 ـ مقاييس التجريح عند الاباضية
17 ـ أصول مسند الامام الربيع بن حبيب من الصحابة والتابعين
18 ـ تصنيف الحديث عند الاباضية
أ ـ المتواتر وأنواعه ودلاله
ب ـ المشهور ودلاله
جـ ـ الاحادي ودلاله
19 ـ ألفاظ الرواية عند الاباضية
أ ـ الالفاظ الصريحة في الاتصال
ب ـ الحديث المعنعن والمؤمن
جـ ـ الحديث المرسل
د ـ الحديث المرفوق
20 ـ الزيادة الواردة عن ثقة
21 ـ مقاييس الترجيح عند الاباضية
أ ـ علو السند وهو ميزة مسند الربيع
ب ـ ألفاظ متن الحديث
جـ ـ رجال السند
22 ـ الخاتمة
23 ـ تعقيبات وردود
أ ـ ردود على تساؤلات حول مسند الربيع وعلى تعقيبات المعقبين .
ب ـ وجوب الفرق بين العقائد الدينية والاحكام العملية
جـ ـ استمرارية المذهب الاباضي وخلوده .

1 ـ عرض الشبه
2 ـ أسس الحوار العلمي البناء والنزيه بين علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم
3 ـ الجامع الصحيح للربيع بن حبيب أو مسند الإمام الربيع بن حبيب ، أصل التسميتين ومعناهما في مصطلح علماء الحديث
4 ـ مصير الأصل الأول لكتاب الربيع
5 ـ ترتيب الإمام أبي يعقوب للجامع ودوره في اكماله
6 ـ طريقة رجال الحديث في الرواية واختلاف صيغهم في ـ ذلك بحسب القرب أو البعد الزمني عن عصر النبوة
7 ـ أمثلة من الموطإ ـ وصحيح البخاري عن صيغ الرواية والحديث
8 ـ تحقيق اتصال سند كل أحاديث الصحيح حسب صيغة روايته
9 ـ أهل كل مذهب أدرى بأئمتهم ، ولا يضرهم جهل غيرهم بهم
10 ـ عرض مختصر بعناوين المراجع لتراجم رجال الاباضية وأحوالهم وأئمتهم وأخذ خلفهم عن سلفهم عن لقاء وتتلمذ عليهم

11 ـ توافق الحافظ ابن حجر والامام السالمي في حديث الأعمال بالنيات

12 ـ ابطال الزعم أن حديث : إنما الأعمال بالنيات تفرد راوٍ واحد من لدن النبيء ﷺ الى يحي بن سعيد وإحقاق الحق في ذلك

13 ـ إثبات المعاصرة والايصال باللقاء والملازمة بالتلمذة بين رجال المسند الجامع

14 ـ المسائل العقائدية الخلافية عرفت في صدر الاسلام وَدُوِّنت في كتب السنة

15 ـ الأصل في المسلمين جميعا ـ عند الاباضية ـ العدالة والمروءة وقبول الرواية والشهادة حتى يثبت ما يخالف ذلك وينقضه

16 ـ الإباضية يعتمدون في المسند الجامع الصحيح للربيع بن حبيب أولا ، ثم بقية كتب السنة الصحاح الست وغيرها ، مالم تتصادم مع الكتاب «القرآن الكريم»

17 ـ مراجع ترجمة الامام أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني مرتب المسند الجامع وإسوته في ذلك الترتيب

18 ـ تقييم المسند الجامع الصحيح للربيع بن حبيب من الناحية الحديثية

19 ـ موازنة الجامع الصحيح للربيع بالموطإ للإمام مالك بن أنس إمام الهجرة

20 ـ موازنة الجامع الصحيح للربيع بالجامع الصحيح للإمام البخاري امام دار المحدّثين

21 ـ موازنة الجامع الصحيح للربيع بمسند الامام أحمد بن حنبل فقيه المحدّثين

22 ـ توافق آراء ذوي النوايا الطيبة من أوائل هذه الأمة وأواخرها

23 ـ معظم التراث الإسلامي عامة والإباضي خاصة ذهب ضحية الأحداث التاريخية المؤلمة

24 ـ لا ينبغي لمسلم أن ينتقص أخاه المسلم ولا أن يزكي نفسه

25 ـ زبدة المخاض وخاتمة المطاف بإحقاق صحة الجامع الصحيح للربيع

26 ـ تناصح المسلمين وتواصيهم بالحق

27 ـ أثر القول الحسن والدفع بالتي هي أحسن

المطبعة العربية
18 ، نهج طالبى احمد ـ غرداية
الايداع القانوني رقم 18 ـــ فيفري 1984